PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

APR 26 2004

آية الله الشهيد المطهّري

الجهاد

و

حالاته المشروعة في القرآن

منظمة الاعلام الاسلامي
قسم العلاقات الدولية

بسم الله الرحمن الرحيم

Mutahhart

آية الله الشهيد المطهّري

الجهاد

و

حالاته المشروعة في القرآن

(Arabic)
BP182
.M873
1983

الكراس: الجهاد و حالاته المشروعة في القرآن.
المؤلف: الاستاذ مرتضى المطهري.
المترجم: ناظم شيرواني.
الناشر: منظمة الاعلام الاسلامي ــ قسم العلاقات الدولية.
المطبعة: سپهر/ طهران/ الجمهورية الاسلامية فى ايران
طبع منه: ١٠/٠٠٠ نسخة
التاريخ: ربيع الثاني ــ ١٤٠٤هـ.

الفهرست

الموضوع — الصفحة

مقدمة الناشر ١
تمهيد ٣
الأسئلة التي تطرح حول الجهاد ٥
الحرب مع اهل الكتاب ٥
(١) ــ هل ان الحرب مع اهل الكتاب مطلقة ام محدودة ٥
- قاعدة المطلق و المحدود ٦
- المطلق و المحدود في آيات الجهاد ٦
(٢) ــ هل يمكن محاربة جميع اهل الكتاب ٧
(٣) ــ ما هي الجزية؟ ٨
(٤) ــ معنى «الصاغرون» ١٠
- فلسفة وهدف الجهاد ١٠
- الجهاد وحرية العقيدة ١٠
- الفرق بين المشرك وغير المشرك ١١
- هل يوجد اختلاف بين الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية ١١
- العهد مع الكفار ١١
- كيفية الحرب ١١
شرعية الحرب ١٢
- حرب أم اعتداء ١٢
- الحرب الدفاعية ١٢
- السلام ليس استسلاما ١٣

- الفرق بين الاسلام والمسيحية ١٤
- الاسلام والسلام ١٤
- شروط الحرب ١٤
- المسلمون في مكة ١٥

الدفاع او الاعتداء ١٧

- انتقاد المسيحية للاسلام ١٧
- الاعتداء منموم لا الحرب ١٧
- الصلح ليس الاستسلام وقبول الذلة ١٨
- الآيات المطلقة حول الجهاد ١٩
- قاعدة حمل المطلق على المقيد ١٩
- الآيات المقيدة ٢٠
- مناصرة المظلوم ٢٠
- مقاومة الضغط ٢١
- هل من الواجب طلب المساعدة؟ ٢١
- معارك صدر الاسلام ٢٢
- حمل المطلق على المقيد ٢٣
- لا اكراه في الدين ٢٣
- الصلح والتفاهم ٢٥

ماهية الجهاد هي الدفاع ٢٧

- انواع الدفاع ٢٧
- الحقوق الانسانية ٢٨
- أقدس أنواع الدفاع ٣٠
- النزاع صغروي وليس كبرويا ٣٠
- الأمر بالمعروف هو مصداق الدفاع عن الحقوق الانسانية ٣٠
- الدفاع عن الحرية اليوم دفاع مقدس أيضا ٣١
- هل ان التوحيد حق شخصي ام حق عام؟ ٣١
- الامور التي لايجبر عليها ٣٢
- التربية لا تفرض ٣٢

- الايمان لا يتطلب العنف ٣٣
- يمكن منح الحرية بالاكراه. أما الايمان والأصالة و روح المطالبة بالحرية فلا ٣٣
- الحرب لازالة العوائق عن طريق الايمان والتوحيد ٣٤
- الحرب من أجل حرية الدعوة وازالة العوائق عن طريق التبشير ٣٥
- مقياس الحقوق الشخصية و الحقوق العامة ٣٥
- حرية الفكر ام حرية العقيدة؟ ٣٧

الجهاد من وجهة نظر القرآن والعقل والتاريخ ٣٩

- هل ان آيات الجهاد ناسخة و منسوخة؟ ٣٩
- أصل «ما من عام الا وقد خص» ٤١
- الدفاع عن القيم الانسانية ٤٢
- استعمال القوة في سبيل المسائل الصحية ٤٣
- حرية «العقيدة» ام حرية «التفكير»؟ ٤٤
- الجزية ٤٤
- هل ان الجزية تكريم أم عقاب؟ ٤٥

* بسم الله الرحمن الرحيم *

مقدمة الناشر:

خير من يتحدث عن الجهاد من عاشوه وعيا وسلوكا وجرت في عروقهم دماء الشهادة الطاهرة....

اليس الجهاد بابا من ابواب الجنة فتحه الله لخاصة اوليائه؟ فلا يعرفه على حقيقته الا المجاهدون الواعون ومن اروع من الشهيد آية الله المطهري ليتحدث عنه...

انه رضع من ثدي الايمان، وسما في مدارج العلم والتدبر في الآفاق والنفس، وعاش حياة ملؤها ايمان بالاسلام رسالة تنظم كل شؤون الحياة، وراح لذلك يجاهد في سبيل هدفه السامي... فهو يقارع الانحراف الفكري بنفس المستوى الذي كان يقارع به الطاغوت السياسي.

ولذا تجمعت عليه كل القوى فكان في طليعة الضحايا المؤمنة التي قدمتها الثورة الاسلامية بعد نجاحها... وقد احدث اغتياله فجوة كبرى على الساحة الفكرية لولا ان من الله على الامة بمن نهض بالحمل الثقيل.

وها نحن نقدم للقراء الاعزة هذه الاحاديث الطاهرة عن الجهاد راجين ان تنتشر هذه الروح بين كل ابناء الامة المسلمة.

منظمة الاعلام الاسلامي
— العلاقات الدولية —

بسمه تعالى

تمهيد

المجموعة التي بين يديك هي حصيلة ثلاثة دروس من دروس التفسير التي القاها الاستاذ الشهيد المطهري في مسجد الجواد بطهران عام ١٩٧١م.

في هذه الجلسات التي كانت تعقد اسبوعيا، واستمرت مدة طويلة تم بحث وتفسير القسم الأعظم من القرآن الكريم، وقدتم تسجيله في أشرطة التسجيل وهى موجودة عندنا و نأمل في القريب العاجل— ان نتمكن من تدوينها واعدادها للطبع والنشر.

ولأهمية موضوع الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن الذي تم بحثه في هذه الجلسات الثلاث فاننا نضع هذا الجزء لوحده بين يدي الراغبين فيه. آملين الانتفاع به، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

الاسئلة التي تطرح حول الجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

«قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولابالیوم الآخر، ولايحرمون ماحرّم الله ورسوله، ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ، وهم صاغرون». (التوبة: ٢٩).

الحرب مع أهل الكتاب

تتعلق هذه الآية بأهل الكتاب. و هم كل من يعتنق احدى الديانات السماوية من غير المسلمين كاليهود والنصارى (المسيحيين) و يحتمل كون المجوس منهم.

وهي تصرّح بوجوب مقاتلة أهل الكتاب، إلاّ أنها تُلَمِّحُ الى وجوب مقاتلة المنحرفين منهم من خلال قولها: **«قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر»**، و كل من سار — من اهل الكتاب — على هذا الطريق فهو مشمول معهم بوجوب المقاتلة حتى يعطوا الجزية، اي حتى يعلنوا الخضوع للمسلمين و يرتدعوا عن معصية الله، و يدفعوا الضريبة المفروضة عليهم، عند ذلك يتوجب الامتناع عن محاربتهم، و يتوقف القتال ضدّهم.

وهنا تطرح عدة اسئلة نفسها حول مفاد هذه الآية مماتستوجب الاجابة عليها بالاستفادة من آيات أخرى من القرآن الكريم.

١— هل ان الحرب مع أهل الكتاب مطلقة أم محدودة؟

فالسؤال الاول هو: ما المقصود بقوله تعالى **«قاتلوا الذين لايؤمنون بالله»**؟ هل المقصود أن تقوموا من البداية بمقاتلة هؤلاء؟ أو ان تقاتلوهم عند

ظهور اعتداء من جانبهم؟ ام أن أصلي هذه الآية مطلقان؟ وهل هناك آيات أخرىٰ بحيث تكون تلك الآيات محدودة و يتوجب تحميل المطلق على المحدود أم لا؟

قاعدة المطلق والمحدود

يجب ان اوضح لكم هذا الاصطلاح، والا فاننا سوف لن نتعرف بصورة كاملة على مفهوم الآيات. يمكن اعتبار احد الأوامر وأحد القوانين (وحتى القوانين البشرية التي تصدر عن آمر بشري) مطلقا في ظرف معيَّن، واعتبار نفس الأمر ونفس القانون محدوداً في ظرف آخر. ونحن نعرف ان الذي يصدر هذا الأمر أو المشرع لهذا القانون له مقصود واحد من الاثنين. والان هل يجب ان نأخذ ذلك المطلق و من ثم نقول ان هذا المحدود المذكور جاء سبب خاص، أوان نقوم بتحميل ذلك المطلق على هذا المحدود؟ أي ان نأخذ المحدود.

أضرب لكم مثلا بسيطا. لواعلن صاحب أمر تحترمون أمره، عن أمر واحد في مرتين و بتعبيرين، يقول لكم في المرة الاولى احترموا الشخص الفلاني. هذا مطلق، أي انه لم يذكر أي محدود بل يقول احترموا فلان. وفي المرة الأخرى يقول لكم صاحب نفس الأمر، نفس الأمر بهذا الشكل، «اذا شارك في جلستنا فاحترموه» فعند مايقول «اذا» فهو لايقول بصورة مطلقة «احترموه»، بل يقول اذا قام بهذا العمل فاحترموه. ان التعبير الاول مطلق، حيث يقول بصورة مطلقة، «احترموه» وهنا يتوجب عليّ ان احترمه سواء شارك في هذه الجلسة أو إمتنع عن المشاركة في هذه الجلسة. اما اذا أخذنا التعبير الثاني، فان معناه هو، اذا جاء الى الجلسة فاحترموه واذا لم يأتِ فلا تحترموه.

يقولون ان القاعدة تقتضي ان نحمل المطلق على المحدود، أي ان نقول ان المقصود من ذكره للمطلق هناك، هو نفس هذا المحدود.

المطلق والمحدود في آيات الجهاد

والآن، فمن جملة المطلق والمحدود، هومانرى في القرآن في مكان واحد مثل: **قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله.** لكننا نجد

في آية أخرى مايلي: **قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم** (البقره– ١٩٠) هل ان المقصود من قوله هنا «قاتلوا» عندما يتصدون لقتالكم ام لا. وهنا فان الكلام هنا مطلق، أي قاتلوهم سواء كانوا يريدون قتالكم أولايريدون، وسواء اعتدوا عليكم أولم يعتدوا.

هنايمكن ان نعطي رأيين، الاول ان نقول بان المقصود هو المطلق لان أهل الكتاب ليسوا مسلمين واننا مجازون بمحاربتهم، اننا مجازون بمحاربة كل شخص ليس مسلما، الى ان نخضعه فإن لم يكن غيرالمسلم من أهل الكتاب لوجب ان نقاتله ليسلم أو يستسلم أمامنا و يدفع الجزية. ان الذين يقولون يجب ان نأخذ المطلق (أي لوقال شخص يجب أخذ المطلق) فانهم يقولون هكذا.

لكن اذا قال شخص يجب حمل المطلق على المحدود، فانه يقول لا، اننا نعلم استنادا الى الآيات الأخرى من القرآن التي تذكر الاصول الشرعية للجهاد، ان المقصود، ليس المطلق، فاين الاصول الشرعية للجهاد؟ من جملتها مثلا ان يعترم ذلك الطرف محاربتكم أو ان يوجد العراقيل في طريق نشر الدعوة الاسلامية، أي يدعو الى سلب الحريه و يعرقل نشر الدعوة، وفي الواقع يُوجدُ سدا ومانعا. الاسلام يقول حطم هذا السد وهذا المانع. أو ان هؤلاء يظلمون و يعذبون قوماما، و يجب عليكم محاربتهم لانقاذ المظلومين من قبضتهم، كماتقول الآية: «**ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال و النساء والولدان**» (النساء: ٧٥).

فهذا السؤال يجب ان تطرحوه لكي نجمع الآيات المتعلقة بالجهاد ونضع الواحدة فوق الأخرى لنرى ما الذي سنخرج به من هذه الآيات.

٢– هل يمكن محاربة جميع أهل الكتاب؟

والسؤال الثاني هو هذا الجزء الذي لم يشر أساسا الى محاربة أهل الكتاب، بل يقول «**قاتلوا الذين لايؤمنون بالله و رسوله ولا يحرمون ماحرم الله ولا يدينون دين الحق من أهل الكتاب**» فما المقصود منه؟ هل المقصود هوان كل شخص من أهل الكتاب سواء كان يهوديا أو مسيحيا أوله مذهب آخر لايؤمن بالله و رسوله و بالحرام والحلال ودين الحق، وحتى لوادّعى وقال انه يؤمن بالله، فانه يكذب وليس له ايمان؟ هل يريد

القرآن في الواقع ان يقول ان جميع أهل الكتاب لايؤمنون بالله في الواقع بالرغم من ادعاء ايمانهم بالله؟ يمكن ان نقول، بما ان هؤلاء يقولون عن المسيح انه الرب أو يقولون انه ابن الله، فانهم لايؤمنون بالله. واليهود مثلا، ان مايقولونه حول يهودا هو غير الرب الحقيقي، فهؤلاء لاايمان لهم، وان الذين يقولون: «**يد الله مغلولة**»، لايؤمنون بالرب الحقيقي، وكذلك الحال بالنسبة لسائر أهل الكتاب.

لوقلنا هذا، فمعناه ان القرآن لايعترف بايمان غيرالمسلمين بالله و بالقيامة. فكيف ولماذا لايعترف؟ من ناحية انه يقول: في الواقع ان هناك شكا في ايمان هؤلاء. ان مسيحيا (على الأقل في طبقة علمائهم) يقول، الله، وحتى انه يقول الله الواحد، لكنه في نفس الوقت يقول اشياء حول المسيح ومريم، بحيث يشوه الايمان بالله. ان وجهة نظر بعض المفسرين هي، عندما يدعوالقرآن الى محاربة أهل الكتاب فانه يقول حاربوا جميع أهل الكتاب الذين ايمانهم بالله، و بالقيامة، و بالحرام والحلال ليس صحيحا. و باعتقاد هذه المجموعة فان المراد من كلمة الرسول هو خاتم الانبياء، والمراد من دين الحق، هوالدين الذي يتوجب على جميع البشر قبوله، وليس الدين الذي كان يتوجب على الناس قبوله في ظرف خاص.

الا ان مجموعة أخرى من المفسرين تقول: اراد القرآن بهذا التعبير ان يقسم أهل الكتاب الى قسمين... اراد ان يقول ان جميع اهل الكتاب ليسوا متشابهين، حيث ان بعض أهل الكتاب يؤمنون - في الواقع - بالله و بالقيامة و بقانون الله فلاشان لكم بهم، بل حاربوا تلك المجموعة من أهل الكتاب التي اسمها اهل الكتاب، لكن ايمانها بالله و بالقيامة ليس حقيقيا، ولايعتبرون في الواقع حرام الله - حتى الاشياء المحرمة في دينهم - حراما. إذن ليس مع جميع اهل الكتاب، بل حاربوا مجموعة من أهل الكتاب. هذه هي مسألة بحد ذاتها.

٣ـ ماهي «الجزية»؟

السؤال الثالث هو حول كلمة «الجزية» كما تقول الآية، حاربوا هؤلاء حتى يعطوا الجزية، أي اما ان يختاروا الاسلام أو ان يدفعوا الجزية. مما لاشك فيه ان القرآن يضع تباينا بين أهل الكتاب والمشركين (يعني الذين يعبدون الأصنام رسميا وليس لهم أي كتاب سماوي). ففي مايتعلق بالمشركين، لم يقل القرآن في أي جزء

منه، حاربوهم ليدفعوا الجزية، ولو دفعوا فلا تحاربوهم. لكنه يقول حول أهل الكتاب، لودفعوا الجزية فلا تحاربوهم. هذا التباين موجود بصورة قطعية. والسؤال هو: ماهي الجزية اصلا وما هي فلسفة الجزية؟

الأحاديث تدور حول لغة الجزية، حيث قال البعض ان هذه اللغة معربة، أي ليست عربية من الاساس، وانها تملك اساسا فارسيا وهو «گزيت». فالجزية وضعت في ايران في عهد الساسانيين وفي عهد انوشيروان[1]، لكن ليس على شعب ايران، بل على الاجانب وكانت بصورة ضرائب سنوية تجمع للحرب. ثم انتقلت هذه الكلمة من ايران الى «الحيرة» التي كانت تقريبا، مدينة في محل النجف الفعلي. وبعد الحيرة تسربت الكلمة الى سائر انحاء الجزيرة العربية وتم تداولها.

البعض الآخر يقول، صحيح ان كلمة الجزية قريبة جداً من كلمة (گزيت ـ گزية» لكنها لغة عربية مشتقة من الجزاء وان اغلب اللغويين هم على هذا الاعتقاد. نحن الآن لسنا بصدد لغة الكلمة، لكن ماهي الجزية اصلا؟ هل ان الجزية تعني الفدية؟! هل يقول الاسلام، حاربوا هؤلاء الى ان يوافقوا على دفع الفدية لكم أيها المسلمون ولا تحاربوهم عندما يدفعون الجزية. وان الشاعر يقول ايضا ماترجمته:

نحن الذين أخذنا الفدية من الملوك

ثم اخذنا منهم الحزام والتاج

على كل حال، هل ان المقصود من الجزية هو الفدية؟ في ذلك الوقت يطرح هذا السؤال نفسه: مامعنى الجزية؟ أي أمرهذا؟ اليس هذا بحكم ظالم، وماهو الاساس الحقوقي والاساس العادل اللذين يملكهما ليسمح الاسلام للمسلمين أو يأمرهم بمحاربة أهل الاديان الأخرى ليصبحوا مسلمين، والا فيجب ان يدفعوا الفدية؟!

ان الحالتين لاتخلوان من الايراد. حاربوهم ليصبحوا مسلمين، أي افرضواعليهم الدين، وحاربوهم ليدفعوا الفدية، أي افرضواعليهم دفع مبلغ من المال. على كل حال فان الحالتين تعنيان الفرض، سواء فرض العقيدة او المال. و يجب ان

١ــ أحد ملوك ايران

نبحث مفصلا في هذا المجال ايضا، عن الجزية في الاسلام، وهل كانت جزية في الواقع أم شيئا آخر.

٤ــ معنى «الصاغرون»

ثم تقول الآية: **وهم صاغرون.** الصاغرون مشتقة من «الصغر».

ما معنى وهم صاغرون؟ هذا هوبدوره السؤال الرابع الذي يقول، مامعنى، وهم صاغرون؟ هل بمعنى ان يخضعوا أمام قدرتكم فقط، أوان الاسلام يريد هنا مسألة أخرى علاوة على الخضوع.

وبغض النظر عن مفهوم الآية والأسئلة المتعلقة بها، لدينا مسائل ومواضيع أخرى، يتوجب ان نفصلها عن بعضها البعض وان نبحث حولها:

فلسفة وهدف الجهاد

من جملة المسائل هي، لأي شيءشرَّعَ الاسلام الجهاد؟

يعتقد البعض انه يتطلب اساسا عدم وجود الجهاد في الدين ويجب ان يخلو الدين من قانون الحرب، لان الحرب هي شيء سَيِّئ، كما يجب ان يكون الدين ضدالحرب، لاان يضع هو قانون الحرب. اما نحن، فاننا نعرف ان احد فروع الاسلام، هوالجهاد. وعندما يسألوننا عن فروع الدين، نقول عشرة فروع. نقول، الصلاة، الصوم، الخمس، الحج والجهاد...

هذه هي من جملة المسائل التي يقوم المسيحيون بتبليغها ضدالاسلام بصورة استثنائية.

الجهاد وحرية العقيدة

يقولون:

اولا، لماذا توجد مثل هذه المادة القانونية في الاسلام،

وثانيا: ان المسلمين دخلوا-بواسطة هذه الاجازة القانونية الممنوحة من قبل الاسلام—الحرب مع الشعوب وفرضوا الاسلام بالعنف. يقولون، ان جميع المعارك الاسلامية، كانت معارك لفرض العقيدة، لكي يفرضوا الاسلام بالعنف، وقد تم فرض الاسلام على الناس بالعنف. يقولون ان الجهاد يتنافى مع مبدأ عام لحقوق الانسان

باسم «حرية العقيدة».

الفرق بين المشرك وغير المشرك

والمسألة الأخرى التي يجب ان نتطرق اليها هنا، هي ان الاسلام يميز بين المشرك وغيرالمشرك في قانون الجهاد و يسمح بنوع من التعايش مع غير المشرك ولا يسمح بذلكمع المشرك.

هل يوجد اختلاف بين الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية

المسألة الأخرى التي يجب ان نطرحها ايضا هي، هل ان اسلام يفرق بين الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية؟ أي اعتبر مكاناً ما مركزا رئيسياله ولا يقبل في مركزه الرئيسي، لاالمشرك ولا اهل الكتاب، وذلك المكان هو الجزيرة العربية، لكنه لايتشدد في مكان آخر غير الجزيرة العربية، مثلا ان يتعايش مع المشرك او ان يتعايش مع اهل الكتاب، و بالتالي هل يوجد اختلاف بين الجزيرةالعربيةو غير الجزيرة العربية أم لا؟

مما لاشك فيه ان هناك تباينا بين مكة ومكان آخر غيرمكة، حيث جاءت في الآيات التي سبقت هذه الآية مايلي: «**انما المشركون نجس فلايقربوا المسجد الحرام بعدعامهم هذا**». (التوبه: ٢٨) لكن هل يوجد اختلاف بين الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية، أم لا؟ هذه مسألة ايضا.

العهد مع الكفار

المسألة الأخرى، هي مسألة العهد مع المشركين. هل يمكن ان يتعاهد المسلمون مع هؤلاء وان يعقدوا اتفاقيـة معهم. ولوعقدوا اتفاقية، هل ان اتفاقيتهم محترمة أوغير محترمة؟ وهل من الضروري ان يحترموها أوليس ضرورياً؟

كيفية الحرب

ثم هناك مسائل أخرى، ففي الوقت الذي يعتبر الاسلام، الحرب شرعية فبأي نوع من الحرب يسمح و بأي نوع من الحرب لايسمح؟ يعني هل يسمح مثلا بالقتل الجماعي أم لايسمح؟ هل انه يسمح بقتل الاشخاص الذين لايحملون السلاح كالعجائز، والاطفال والاشخاص المنشغلين بعملهم ورزقهم؟ هذه مسائل يجب ان نبحث فيها.

لقد وردت الآيات المتعلقة بالجهاد في أماكن متعددة من القرآن، وسنحاول بعون الله ان نجمع جميع الآيات المتعلقة بالجهاد لكي نحصل على رأي القرآن في هذا المجال.

* * *

شرعية الحرب

المسألة الاولى هي حول اصل شرعية الجهاد. فحول ما اذا كان من الصحيح وجود قانون الحرب في نص دين وفي نص قانونه، أم لا؟ يقول المعارضون: لا، لان الحرب سيئة، ويجب على الدين ان يكون دائما معارضا للسيئات. إذن يجب ان يكون معارضا للحرب، أي ان يكون مواليا للسلام. وعندما يريد ان يكون معارضا للحرب، إذن يجب ان لايشرع قانون الحرب، ويجب ان لايتحارب مطلقا. هكذا يبلغ المسيحيون. الا ان هذا كلام فارغ ولا يستندالى اساس.

حرب أم اعتداء؟

هل ان الحرب سيئة على الاطلاق، وحتى في حالة الدفاع عن حق وفي حالة الرد على هجوم أو اعتداء؟ إذن يجب التعرف على غاية وهدف الحرب. قدتكون الحرب عدوانية في وقت ما، مثلا عندما يطمع شخص أو شعب بحقوق الآخرين و بأرض أخرى وفي ثروة شعب، او ان يطمع بالسلطة الكبيرة والتفوق و يدعي ان عنصره هو فوق جميع العناصر وافضل منها، ولذلك يجب ان يحكم بقية العناصر الأخرى.

هذه الأهداف غير صحيحة. ان الحرب التي تأتي من أجل احتلال ارض ما، أولأجل مصادرة اموال شعب ما أولأجل اذلال شعب ما على اساس ان هذا الشعب من جنس أدنى و اننا من جنس أفضل، و يجب على الجنس الأفضل ان يحكم الجنس الذي هو دونه، ان مثل هذه الحرب تعتبر عدواناً وهي سيئة بالطبع ولاشك فيها. انني سأتناول فيما بعد الحرب التي تهدف الى فرض العقيدة.

الحرب الدفاعية

لكن اذا كانت الحرب من أجل ردع الاعتداء، فمثلا لواعتدى شخص على ارضنا... يطمع في مالنا وثروتنا... يطمع في حريتنا وشخصيتنا و يريد ان يسلبها،

فماذا يجب ان يقول الدين هنا؟ هل يجب ان يقول: ان الحرب سيئة على الاطلاق... استعمال السلاح سيئ، شهر السيوف سيئ، اننا نؤيد السلام!! من البديهي ان هذا الكلام سيكون مسخرة. الخصم يحاربنا و يجب ان لا نحارب من اعتدى علينا و اراد أن ينهب اموالنا وممتلكاتنا، ولاندافع في الواقع عن انفسنا. كل ذلك بحجة السلام؟! هذا ليس سلاما، هذا استسلام.

السلام ليس استسلاما

وهنا لانستطيع ان نقول اننا نعارض هذه الحرب لاننا نوالي السلام. معنى هذا اننا نوالي الذلة و نوالي الاستسلام. يجب ان لاتختلط علينا الأمور، فهناك فرق شاسع من الارض الى السماء بين هذين الاثنين. ان معنى السلام هو الحياة الشريفة، بينما حياة الاستسلام، ليست شريفة، فهي من جهة تمثل اللاشرف بل تمثل اللاشرف من الجهتين. من تلك الجهة، اعتداء مهين، ومن هذه الجهة استسلام مهين امام الظلم.

إذن يجب إنهاء هذه المغالطة. اذا قال شخص انني اعارض الحرب، والحرب سيئة على الاطلاق سواء كانت حربا عدوانية أو حربا للدفاع والنضال ضد الاعتداء، فانه على خطأ. ان الحرب العدوانية مذمومة على الاطلاق، والحرب بمعنى الصمود امام الاعتداء محمودة على الاطلاق، وهي من ضروريات الحياة.

والقرآن يشير بدوره الى هذا الموضوع، بل يصرح به حيث يقول «**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض**» (البقرة– ٢٥١) وفي مكان آخر يقول: «**لهدمت صوامع وبيع و صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله**» (الحج: ٤٠). لذلك فان جميع دول العالم ترى من الواجب امتلاكها لقوة دفاعية. ان وجود جيش وظيفته الحد من الاعتداء هو أمر واجب و ضروري. الآن تملك دولة ماجيشا للاعتداء على الآخرين وتملك دولة أخرى جيشا للدغاع. لاتقولوا ان الدولة التي تملك جيشا ولا تعتدي فانها لا تستطيع الاعتداء، ولو كانت قوية لأعتدت بدورها. انني لاأتحدث عن هذا الموضع. إن امتلاك كل دولة لجيش هو أمر واجب، ويجب ان تكون قوية الى درجة تستطيع معها الحد من العدوان عليها.

ويقول القرآن في هذا المجال: «**وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**» (الانفال: ٦٠).

الفرق بين الاسلام والمسيحية

يقولون ان المسيحية لها هذا الفخر وهو أنها تخلومن كل اسم للحرب، لكن نحن نقول ان الاسلام له هذا الفخر بامتلاكه لقانون الجهاد. ان المسيحية لا تملك الجهاد لأنها لا تملك أي شيء، ليس لها مجتمع، ولا تشكيلات اجتماعية على اساس المسيحية، لكي تملك الجهاد. لايوجد في المسيحية شيء سوى أربعة أوامر أخلاقية وجملة من النصائح مثل، قولوا الصدق، لا تكذبوا ولا تأكلوا أموال الناس. هذه الاشياء ليست بحاجة الى الجهاد. ان الاسلام هو دين يعتبر تشكيل المجتمع من واجباته ومسؤولياته. الاسلام جاء لتشكيل مجتمع... جاء لتشكيل دولة... جاء لتشكيل حكومة، ورسالته هي اصلاح العالم. ومثل هذا الدين لايستطيع ان يكون لاابالياً. وان يفتقرلقانون الجهاد، كما ان دولته لا تستطيع ان تستغني عن الجيش. ان دائرة المسيحية محدودة، بينما دائرة الاسلام واسعة. المسيحية لا تتعدى حدود النصائح، بينما الاسلام ينظر الى جميع شؤون حياة الانسان. للاسلام قانون اجتماعي، قانون اقتصادي و قانون سياسي من أجل تشكيل دولة و تشكيل حكومة، فكيف يمكن عندها ان لايشكل جيشا؟ كيف يمكن ان لايشرع قانوناً للجهاد؟

الاسلام والسلام

من الخطأ ان تقول مجموعة، ان الدين يجب ان يكون دائما معارضا للحرب، ويجب ان يوالي السلام وليس الحرب، لان الحرب سيئة على الاطلاق. بالطبع، يجب ان يكون الدين مواليا للسلام، وان القرآن يقول: **والصلح خير.** لكن يجب ان يكون مواليا للحرب ايضا، أي عندما لايرغب الطرف المقابل بالحياة الشريفة. و بما انه ظالم و يريد ان يدوس الشرف الانساني بشكل من الاشكال، فاننا سنتحمل المذلة لو استسلمنا وتحملنا المهانة بشكل آخر. الاسلام يقول: السلام عندما يكون الطرف المقابل مستعداً للصلح و يوافق عليه، اما الحرب ففي وقت رغبة الطرف المقابل بالحرب.

شروط الحرب

المسألة الثانية هي، في أية ظروف يدعو الاسلام للحرب؟ ان جميع المفسرين يتفقون على ان اول ماانزل في القرآن حول الجهاد، قوله تعالى: «**ان الله يدافع عن الذين آمنوا، ان الله لايحب كل خوان كفور. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظُلِموا و إن**

الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلاّ ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز. الذين ان مكنّاهم في الارض أقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» (الحج: ٣٨–٤١)

المسلمون في مكة

ان الوحي نزل– مثلما نعلم– بمكة على النبي الأكرم وهو في سن الأربعين. بقي النبي في مكة مدة ثلاثة عشرعاماً، وتعرض مع الصحابه خلال تلك الأعوام الى تعذيب كفار قريش بحيث ان البعض اضطر لأخذ إذن من الرسول الأكرم بالمهاجرة من مكة. هاجروا وذهبوا الى الحبشة. ان المسلمين كانوا يطلبون– كرارا– من النبي ان يسمح لهم بالدفاع عن انفسهم، لكن النبي لم يسمح لهم بذلك طيلة بقائه في مكة الذي استغرق ثلاثة عشرعاما. هذه هي فلسفة أخرى. واستمرت هذه الحال الى ان تأزمت الاوضاع جداً ونفذ الاسلام من جهة أخرى الى خارج مكة، مثل المدينة، وأسلم عدد قليل من أهل المدينة وجاءوا و بايعوا النبي، وتعهدوا بحمايته في حالة مجيئه الى المدينة. هاجر النبي الأكرم وهاجر المسلمون تدريجيا. ولاول مرة وجد مركزا مستقلا في المدينة. ان إجازة الدفاع لم تعط في السنة الاولى ايضاً. بل في العام الثاني للهجرة حين نزلت لأول مرة آيات الجهاد هذه. انظروا، ان لحن الآيات هو كمايلي: **ان الله يدافع عن الذين آمنوا، ان الله لايحب كل خوان كفور.** بعد ذلك يقول: **أذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا.** أي، يا أيها المسلمون، بما أنّ الكفارجاءوا لمحاربتكم، إذن حاربوهم. هذه بالضبط حالة الدفاع. لماذا تم السماح بذلك؟ لأنّ المظلوم يجب ان يدافع عن نفسه ثم يعد بالنصر: **و ان الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله.**

انظروا كيف ان اللحن هولحن دفاعي ثم يذكر الفلسفة الكلية للجهاد. ان القرآن لعجيب في تبيان الحقائق وذكر الملاحظات. ثم يقول هذه الجملة، وهي ان القرآن يواجه من قبل المسيحيين بهذه الاسئلة والايرادات: أيها القرآن انت كتاب سماوي، انت كتاب ديني، كيف تسمح بالحرب؟ ان الحرب شيء مذموم. تحدث عن السلام دائما،

قل العبادة، قل الصفاء.

أما القرآن فيقول: كلا، اذا حصل احيانا هجوم من طرف ولم يدافع الطرف المقابل فلن تستقر حجارة على حجارة: **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله.**

نعم لو ان الله يدفع الناس بعضهم ببعض، فستهدم الصوامع ومراكز العبادة و تزول مراكز اليهود و مراكز الصوفيين و مساجد العبادة.

ثم يعد الله بالنصر: **ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز.**

انظروا بعد ذلك ، كيف ان الله يصف الناس الذين ينصرهم. ان الله ينصرالذين يدافعون عن انفسهم، الذين عندما يشكلون حكومة فانهم يكونون على هذه الشاكلة: «**الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة وآتوا الزكاة**» ان الصلاة رمز الصلة الصحيحة مع الله، والزكاة رمز التعاون الصحيح بين الناس الذين يعبدون الله بنية خالصة، و يساعد الواحد الآخر: «**وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**».

عرفنا الى هنا، ان القرآن قام اساسا بشرح الجهاد، ليس بصفة اعتداء و غلبة وسيطرة وانما بصفة النضال ضد الاعتداء.

لكن يجب ان اخبركم ان الاعتداءات التي يجب النضال ضدها، ليست كلها بهذا الشكل، وهو ان الطرف المقابل يعتدي على ارضكم. يمكن ان يكون الاعتداء بهذا الشكل، أي ان يقوم الطرف المقابل في ارضه بتعذيب جماعة ضعيفة، وبعبارة القرآن (المستضعفين). ففي مثل هذه الظروف لايمكن ان تكونوا لاأباليين، لان رسالتكم هي تحرير هؤلاء. أو ان يقوم شخص آخر بايجاد جوٍّ من الارهاب بحيث لايسمح بنمو دعوة الحق هناك. يوجد سداً... يوجد حائطاً، ممايتطلب هدم ذلك الحائط. ان جميع هذه الاعمال هي اعتداءات. يجب ان تحرروا الناس من القيود الفكرية و غير الفكرية، وان الجهاد أمر ضروري في هذه المجالات. ومثل هذا الجهاد هو دفاع و مقاومة ضدالظلم، أي ضد الاعتداء. ان الدفاع بمعناه العام هو النضال ضد الظلم الموجود، ولكن يجب ان نبحث في انواع الظلم والاعتداءات وضرورة الجهاد والنضال ضدها من وجهة نظر الاسلام.

الدفاع أو الاعتداء

انتقاد المسيحية للاسلام

قلنا سابقا، ان العالم المسيحي يعتبر الجهاد نقطة ضعف في الاسلام حيث يقول ان الاسلام هو دين الحرب وليس دين السلام، وان المسيحية هي دين السلام. و يقول ان الحرب هي بصورة عامة سيئة والسلام حسن و يتوجب على دين جاء من قبل الله ان يوالي السلام باعتباره شيئا جيداً، لاان يوالي الحرب التي هي شيء سيِّئ. ان مسيحية الأمس قددخلت الحياة من زاو ية الاخلاق... الاخلاق المسيحية الخاصة... الاخلاق التي تقول اذا ضربوا خدك الأيمن فأعطهم خدك الأيسر. هذه الاخلاق الضعيفة. الا أنَّ مسيحية اليوم تنظر الى الحياة من زاو ية أخرى، وتدخلها عن طر يق آخر... طر يق الحق الطبيعي للانسان... الطر يق المحقق للحر ية... طر يق ان الحرب هي بصورة عامة منافية لحق الحر ية... لحر ية العقيدة... لحر ية الارادة... لحر ية انتخاب المذهب.. انتخاب الجنسية وغيرها. اننا ننظر الى الموضوع من الزاو يتين: أي من زاو ية الأخلاق والمعايير الأخلاقية، وكذلك من زاو ية الحقوق الانسانية على اساس المعايير الانسانية الجديدة. لقد اجبت على هذه المسألة في الجلسة السابقة، والجواب واضح جدا، وهو ان هذا الكلام ليس صحيحاً.

الاعتداء مذموم لاالحرب، وليست كل حرب اعتداءاً!

ممالاشك فيه ان السلام جيد. وممالاشك فيه ايضا ان الحرب تكون سيئة اذا جاءت بمعنى الاعتداء على الآخر ين والاعتداء على من ليس لهم أي خلاف مع المعتدي وليس لهم أي خلاف مع المجتمع، والاعتداء لاحتلال اراضيهم والاغارة على اموالهم أومن أجل جعل هؤلاء عبيدا والسيطرة عليهم. الشيئ السئ هوالاعتداء، الا أنه ليست كل حرب من قبل كل شخص عدوانية، حيث يمكن ان تكون عدوانية و يمكن ان تكون رد!

على الاعتداء، لانه يتطلب احيانا الرد على الاعتداء بالعنف، أي عندما لا تتوفر وسيلة غير العنف للرد على الاعتداء.

الصلح: ليس الاستسلام وقبول الذلة

حين يكون الدين ديـنا جـامعا، فيجب ان يستعد لذلك اليوم الذي يتعرض اتباعه الى الاعتداء، أو لم يتعرضوا هم للاعتداء بل تعرض قوم آخرون للاعتداء؟ وهنا يجب على الدين ان يقرّ قانون الحرب والجهاد.

يقولون ان السلام جيد، ونحن نتفق معهم. لكن هل بالاستسلام و الذلة وهل ان الاستسلام والذلة جيدان؟!

لوتساوت قوتان، وكانتا ترغبان في التعايش السلمي على أساس الحقوق المتقابلة والاحترام المتبادل، فهذا يعني السلام، والسلام جيد ويجب ان يتوفر. اما في بعض الأحيان يكون احدالطرفين معتديا و يستسلم الطرف الثاني أمامه باعتبار ان الحرب سيئة، أي ان يتحمل مذلة تحمل العنف. فهذا ليس سلاما بل هو الخضوع والاستسلام امام العنف الذي ليس اسمه، السلام. وهذا يشبه بالضبط، ان تمرأنت في صحراء ثم يهاجمك شخص مسلح و يقول لك ترجّل فورا من السيارة و ارفع يديك الى الأعلى، واعطني ماتملك. لذلك تستسلم انت وتقول بما انني ارغب في السلام فانني ارفض الحرب على الاطلاق، واوافق على ما تقوله أنت، أي أسلم أموالي لك.. أسلم الاثاث والحاجات الأخرى لك.. اعطيك السيارة... اطيع ماتقوله... قل ماتر يدلأعطيك.. لانني ارغب في السلام. هذا لايعتبر رغبة في السلام وانما قبول الذلة. هنا يتوجب على الانسان ان يدافع قدر الامكان عن ماله... عن سمعته، إلا اذا توصل الى هذه النتيجة وهي ان دفاعه ينتهي الى الذهاب بماله وحياته وان دمه سيذهب هباءا.

من الممكن بالطبع ان يراق دم ويظل يغلي حتى ينتج في المستقبل أمراً له قيمة عالية، لاان يراق بيد سارق و يذهب هدراً. المقاومة هنا ليست منطقية، بل يجب على الشخص هنا ان يضحي بماله وثروته و يحافظ على حياته. اذن هناك فرق بين الرغبة في السلام و بين قبول الذلة، حيث ان الاسلام لايسمح مطلقا بقبول الذلة، لكنه في نفس الوقت يرغب في السلام.

ان غرضي هو أهمية هذه المسألة، حيث ان المسيحيين وغير المسيحيين يها جونها

و يعترضون عليها و يعدونها نقطة ضعف في الاسلام، و يقولون بعد ذلك ان سيرة النبي كانت هكذا، الاسلام دين السيف، ان المسلمين كانوا يشهرون السيوف بوجوه الاشخاص و يقولون لهم، إما ان تختاروا الاسلام أو ان تقتلوا، وعلى هذا الاساس، كان الناس يختارون الاسلام لكي لايقتلوا. انني أرى ضرورة البحث بصورة مفصلة حول هذا الموضوع، وان استشهد بآيات القرآن وحتى بالأحاديث والسيرة النبوية. ولذلك فانني أبدأ بالآيات.

الآيات المطلقة حول الجهاد

قلت ان بعض آيات القرآن حول الجهاد ضد الكفار هي مطلقة، و يكفي ان تقول إحدى الآيات «**يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم**» (التوبه: ٧٣) او مثلا حول مسألة قرأنا آياتها مسبقا، فبعد المهلة التي تعطيها للمشركين (اربعة اشهر) تقول الآية، لوان المدة انقضت ولم يقبل هؤلاء دين الاسلام ولم يها جروا فاقتلوهم أينما وجدتموهم (هل المقصود، المشركين في بيت الله الحرام وضواحي مكة، أم في كل مكان؟ هذا موضوع يجب ان نبحث فيه فيمابعد). أوهذه الآية التي تقول: **قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولابالیوم الآخر ولايحرمون ماحرم الله و رسوله ولايدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.** هذه الآية تتعلق بأهل الكتاب. أو في آية أخرى: **يا أيهاالنبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم** (التوبة— ٧٣)

حسنا، لولم تكن لدينا غير هذه الآيات المعدودة في القرآن، لقلنا ان الاسلام— بصورة عامة—يأمر بمحاربة الكفار والمنافقين ولا يجوّز على الاطلاق التعايش بسلام معهم، بل يوجب محاربتهم قدر الامكان. لوقلنا هذا، فيجب ان نؤمن بان القرآن يأمر دون أية شروط بالحرب مع الكفار.

قاعدة حمل المطلق على المقيد

قلنا مسبقا ان هناك قاعدة في المحاورات العرفية، وهي اذا كان لدينا مطلق ومحدود، أي ان يذكر أمر ما مطلق في مكان و محدود في مكان آخر. يقال، يجب من ناحية علم المبادئ تقديم المطلق على المحدود. هذه الآيات مطلقة. وهناك آيات أخرى، محدودة، كالتي تقول، أيها المسلمون قاتلوا هؤلاء الكفار لانهم يعتدون عليكم، لانهم

يقاتلونكم. إذن يتضح لنامن هذا القول **ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين.** أي قاتلوا الكفار و المنافقين الذين يقاتلونكم. انهم يقاتلونكم، فيجب ان تقاتلوهم .

الآيات المقيدة.

في سورة البقرة يقول تعالىٰ :

«وقاتلوافي سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين»

(البقرة: ١٩٠) اي قاتلوهم لأنّهم يقاتلونكم ولكن لا تتجاوزوا الحدود المعقولة. أي قاتلوا فقط الذين يقاتلونكم، وقاتلوا في ساحة الحرب. مثلا انكم تقاتلون جماعة، وهذه الجماعة ارسلت بعض الجنود ولديها رجال حرب، وهؤلاء الجنود مستعدون لمحاربتكم. فعليكم ان تقاتلوا الجنود الذين توجهوا لقتالكم، فقاتلوهم بشدّة لأنّ ساحة الحرب ليست محلاً لتوزيع الخبز والحلويات بل هي ساحة قتال، لكن لا تتعرضوا لغير المقاتلين كالشيوخ والعجائز بل و مطلق النساء وكذلك الاطفال، لان التعرض لهؤلاء يعتبر عدوانامنكم. لا تقوموا بمثل هذه الأعمال، مثلا لا تقطعوا الاشجار، لا تغلقوا القنوات، لان مثل هذه الأعمال تمثل الاعتداء.

يجب أن لا تختلط علينا الأمور، أي لا تقولوا يحتمل في مكان ما عندما نريد ان نقاتل الجنود، نضطر لهدم البيوت. إن تخريب البيوت كمقدمة لمقاتلة هؤلاء هو مسألة بحد ذاتها، اما ان يكون هذا العمل كجزء من العمليات الحربية، فهو ممنوع. إذن فان الآية التالية تقول بصراحة: **قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم.**

أما الآية الأخرى فهي الآية التي قرأتها لكم في الاسبوع الماضي. ان سورة الحج كانت تتضمن مايقارب الخمس اوست آيات متوالية، تدور الاولى حول الجهاد وتقول البقية، بما ان هؤلاء يقاتلونكم وبما انهم شهروا سيوفهم بوجوهكم، لذلك يجوز لكم ان تقوموا بهذا العمل.

يقول الله في آية من سورة التوبة: **«وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافّة»** (التوبة: ٣٦).

مناصرة المظلوم

لقد قلنا انه يمكن ان تكون اجازة الجهاد مقيدة. مقيدة بماذا؟ مثلا ان الطرف المقابل في حالة الاعتداء، انه يعتدي عليكم. وبما انه يقاتلكم، فيجب ان تقاتلوه.

هل ان القيد منحصر بهذا، وهو اذا كان الطرف المقابل يقاتلنا؟ أم هناك شيء آخر؟ الشيء الآخر هو، يحتمل ان لايرغب الطرف المقابل بمقاتلتنا، لكنه يرتكب ظلما فاحشا بحق مجموعة من الناس، وتكون لنا القدرة على انقاذهم فلولم ننقذهم، لكان ذلك يعني اننا ساعدنا هذا الظالم على الظلم. ان شخصا لم يعتدِ علينا في مكاننا، بل على مجموعة أخرى من الناس، يمكن ان تكون مسلمة أوغير مسلمة، فاذا كانت مسلمة مثل الفلسطينيين الذين شردهم الاسرائيليون من اراضيهم ونهبوا أموالهم وارتكبوا انواع الظلم بحقهم، لكنهم لم يعتدوا علينا لحد هذه الساعة، فهل يجوز لنا ان نسارع لانقاذ هؤلاء المسلمين المظلومين؟ نعم، يجوز، يجب علينا. ان هذا ليس بأمر ثانوي، بل انه المسارعة لمساعدة المظلوم، لانقاذه من يد الظالم، وخاصة اذا كان المظلوم مسلما.

مقاومة الضغط

أمّا إذا لمن يكن المظلوم مسلماً فقد نتصور أنَّ الظالم يقف سدّاً بوجه الدعوة الاسلامية والاسلام يعطي لنفسه الحق في نشر دعوته في العالم. واذا كان يريد نشر دعوته فيجب ان يتمتع بالحرية ليكون بمقدوره نشر دعوته.

خذوا بنظر الاعتبار حكومة تمنع المسلمين من ايصال صوت الاسلام لجموع الناس وتقول، ليس لك الحق في ان تقول كلامك، وانني لااسمح. وهنا لايجوز محاربة جموع الناس لان جموع الناس لم ترتكب ذنبا، ثم انها لا تعلم عن الموضوع شيئاً. لكن هل يجوز محاربة ذلك النظام الفاسد الذي يعتنق عقيدة فاسدة ويجبر الناس على اعتناقها ليمنع من نشر الدعوة الاسلامية بينهم؟ نعم يجوز من وجهة نظر الاسلام، لان هذا بحد ذاته ثورة ضدالظلم، حتى لولم يهتم المظلوم— أينما كان— بالظلم، ولم يطلب مساعدة، حيث ليست هناك حاجة ليتقدم بطلب من أجل مساعدته.

هل من الواجب طلب المساعدة

مسألة طلب المساعدة، هي مسألة أخرى. وهو لوطلب الينامظلوم مساعدته فهل تجب مساعدته ام انها جائزة؟ أم انه تجوز بل تجب مساعدته حتى لولم يطلب المساعدة؟

في هذه الحال لالزوم لان يتقدم الينا بطلب المساعدة، بل يكفي ان يكون ذلك المظلوم مظلوما في الواقع، بحيث ان هذا الظلم أوجد سدا ومانعا أمام سعادته ولايسمح لامثال ذلك المظلوم ان يتعرفوا على الدعوة التي تضمن لهم سعادتهم، واذا اطلعوا عليها

فانهم سيقبلونها. الاسلام يقول، انكم تستطيعون ان تحطموا هذا المانع الموجود بصورة حكومة امام الشعب وان تقضوا عليه.

معارك صدر الاسلام

اكثر المعارك التي وقعت في صدر الاسلام، كانت تحت هذا العنوان، وهو ان المسلمين عندما كانوا يتوجهون للقتال كانوا يقولون نحن لانقاتل جموع الناس، بل نقاتل الحكومات، من أجل ان ننقذ هذه الجموع من الذلة والعبودية. لقد سأل رستم فرخزاد عربيا مسلماً عن هدفه؟ فقال: **لنخرج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله.**

وفي رسالة كتبها الرسول الأكرم (ص) الى أهل الكتاب، أورد الرسول هذه الآية عمدا: **«قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم الانعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله»** (آل عمران: ٦٤). ومعنى هذه الآية هو، يا اهل الكتاب (أهل الكتاب هم الذين يأمر القرآن بالجهاد ضدهم) تعالوا لنقبل كلاما بحيث يرتبط بنا نحن الاثنين، أي لا نقول اقبلوا الكلام الذي هو من صالحنا و يتعلق بنا، بل نقول وافقوا على شيء هو لصالح الجميع و يتعلق بالجميع.

لوقلنا للناس مرة، تعالوا واقبلوا لغتنا. عند ذلك يحق لهم ان يقولوا لماذا؟ نحن نملك لغة وانتم تملكون لغة فلماذا يجب ان نقبل لغتكم؟ أو ان نقول لهم تعالوا واقبلوا تقاليدنا وعاداتنا الخاصة، فيحتمل ان يقولوا لماذا نقبل تقاليدكم؟ اننا نقبل تقاليدنا. لكن في وقت نقول تعالوا واقبلوا هذا الشيء الذي لايعود لنا وحدنا ولايعود لكم وحدكم، بل يعود الى الجميع، لنقبل إلّه الجميع. هذا إذن لايعود لنافقط. لنعبد ذلك الذات الذي هو خالقكم و خالقنا وان نسبته اليكم كنسبته الينا. قال الله: **«تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم. ان لانعبد الا الله، ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله»**. وبعبارة أخرى لانتخذ من اشخاص غيرنا ربّاً لنا، أي بالضبط ان نلغي نظام السيد والخادم ونقيم نظاما يساوي بين افراد البشر.

هذه الآية تقول، عندما اقاتل، فانما اقاتل من أجل نظام يعود على الجميع. وبهذه المقدمة فانكم اصبحتم على علم من ان واحداً من القيود التي تستطيع ان تقيد المطلق الذي نملكه، هو انه يجوز لنا القتال من أجل تحرير شعب يعاني من ظلم شعب آخر.

والآن استمعوا الى آيتين في هذا المجال، اولاهما الآية ٣٩ من سورة الانفال:

«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله». ماالمقصود من الفتنة؟ يعني الذين يأتون و يقومون بالفتنة بينكم بغية اخراج المسلمين من دينهم. وعلى هذا الاساس تتوجب عليكم محاربتهم من أجل القضاء على الفتنة. هذا هو قيد بحد ذاته. وهناك قيد آخر في الآية ٧٥ من سورة النساء: **«ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان»**.

حمل المطلق على المقيد

هذه الآيات الخمس التي قرأتها هنا، بيّنت قوانين الاسلام المتعلقة بالحروب واذا كانت هذه القوانين مطلقة في بعض الآيات، فانها مقيدة في آيات أخرى، ويجب — استنادا الى القاعدة العرفية والمبدئية — **حمل المطق على المقيد**.

وهناك سلسلة أخرى من الآيات في القرآن. صريحة في بيانها بان الدين يجب ان يبث دعوته بالحسنى لابالعنف. وهذا يؤيد بدوره نظرية الاسلام القائلة بعدم استعمال العنف مع الناس وعدم القول لهم إما ان تصبحوا مسلمين أو ان تقتلوا. وهذه الآيات توضح ايضا مفهوم تلك الآيات المطلقة.

لااكراه في الدين

هناك جملة معروفة في آية الكرسي تقول: **لااكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**. أي **وضحوا الطريق للناس** وان الحقيقة هي معلومة. ولااكراه في الدين، أي يجب عدم اجبار أي شخص على قبول دين الاسلام. هذه الآية صريحة في الادعاء. لقد كتبوا في التفاسير ان رجلا من الأنصار الذي كان فيما سبق يعبد الاصنام، كان له ولدان اصبحا مسيحيين وكانا متعلقين بالدين المسيحي الذي انضما اليه. الا ان الوالد كان مسلما وكان متألماً بسبب انضمام ولديه الى الدين المسيحي. ذهب الرجل الى الرسول الأكرم وقال له يا رسول الله ماذا أفعل، ان ولديّ قد اصبحا مسيحيين ولم افلح في جعلهما من المسلمين، فهل تسمح لي ان اجبرهما ليتخليا عن دينهما و يصبحا من المسلمين. غير ان النبي قال: **لااكراه في الدين**.

وكتبوا ايضا بشأن نزول هذه الآية، ان قبيلتين — كما تعلمون كانتا تسكنان في المدينة وهما قبيلة الاوس وقبيلة الخزرج وانهما كانتا من المدنيين الاصليين. وكانت القبيلتان جارتين لعدة قبائل كبيرة من اليهود، جاءت فيما بعد الى المدينة. واحدة من تلك

القبائل كانت قبيلة بني النظير وأخرى كانت قبيلة بني قريظة وأخرى كانت قبيلة من اليهود الذين كانوا في ضواحي المدينة.

بما ان مذهب اليهود هوالدين اليهودي ولهم كتاب سماوي فان بعضامنهم كان يعرف القراءة والكتابة، على العكس من المدنيين الأصليّين الذين كانوا يعبدون الأصنام ولم يكن بينهم من يقرأ ويكتب. لكن البعض منهم قد تعلّم القراءة والكتابة فيمابعد. وبما ان ثقافة اليهود ومستواهم الفكري كانا عاليين، فانهم—أي اليهود— نفذوا بين المدنيّين وبالرغم من ان مذهب الأوس والخزرج كان متباينا مع المذهب اليهودي، إلاّ انهم كانوا يتأثرون بعقائد اليهود وكانوا في بعض الأحيان يرسلون أطفالهم الى اليهود ليتعلموا القراءة والكتابة، واحياناً كان هؤلاء الأطفال يتخلّون عن عبادة الأصنام و يعتنقون اليهودية. وعندما وصل النبي الأكرم الى المدينة، فان عددا من اطفال اهل المدينة كانوا تحت تربية اليهود وكانوا قد انتخبوا الدين اليهودي ولم يرتد البعض منهم عن الدين اليهودي. وعندما تقرر ان يخرج اليهود من أطراف المدينة وأن يهاجروا، فان هؤلاء الأطفال قد تحرّكوا مع اليهود، مما اضطر آباءهم للذهاب الى النبي وأخذ الإذن منه لفصل اطفالهم عن اليهود واجبارهم على التخلي عن الدين اليهودي والانضمام الى الاسلام. لكن النبي لم يسمح لهم بذلك. قالوا له يا أيها النبي اسمح لنا ان نستعمل العنف معهم لاخراجهم من الدين اليهودي وجعلهم مسلمين. قال النبي، كلا، بما انهم يريدون الذهاب مع هؤلاء طوعا فاسمحوا لهم ان يذهبوا. ويقال ان هذه الآية قد نزلت في ذلك الوقت: **لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.**

وهناك آية معروفة تقول: «**أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**» (النحل— ١٢٥). أدع الى ربك، بماذا؟ بالعنف؟ بالسيف؟ كلا، بالحكمة، بالمنطق والبرهان وبالموعظة الحسنة. هذه الآية تعلن بدورها ان الدعوة هي طريق جعل الانسان مسلما.

ويقول القرآن في آية أخرى: «**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**» (الكهف:— ٢٩). تقول هذه الآية بدورها ان الايمان والكفر مسألتان

طوعيتان، وليس فيهما أي اجبار. إذن فان الاسلام لايقول يجب استعمال القوة لجعل هؤلاء مسلمين، فاذا اصبحوا مسلمين فخير على خير والا فاقتلوهم. كلا، إن الاختيار يعود لهؤلاء، فمن يريد ان يصبح مؤمنا فليصبح مؤمنا ومن لايريد فلا.

وتقول آية أخرى: **ولوشاء ربك لآمَنَ مَنْ في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** (يونس — ٩٩). ان الله يخاطب الرسول في هذه الآية، حيث ان الرسول كان يرغب في ان يصبح جميع الناس مؤمنين. القرآن يقول، ان العنف ليس له معنى في جلب الايمان، فلوكان العنف صحيحا فان الله يستطيع بارادته ان يجعل كل الناس مؤمنين، الا ان الايمان هو أمر يحب ان يختاره الناس. إذن فلذلك السبب لم يجعل الله الناس مؤمنين بارادته وقوته بل تركهم احرارا في الاختيار. ويجب عليك أيها النبي ان تترك الناس احرارا ليؤمنوا ان ارادوا وان لايؤمنوا ان لم يريدوا.

وهناك آية تخاطب النبي الاكرم قائلة: **لعلك باخع نفسك أن لايكونوا مؤمنين.** أيها النبي، يبدو انك تريد ان تقتل نفسك لان هؤلاء لايريدون ان يصبحوا مسلمين. لاتحزن من هؤلاء: **ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين** (الشعراء: ٣ — ٤) أي لونشاء فاننا ننزل آية من السماء، ننزل عذابا ونقول للناس، إما ان تؤمنوا أو أن نهلككم بهذا العذاب، مما يضطر الناس الى ان يصبحوا مسلمين، لكننا لانقوم بهذا العمل لاننا نريد ان يختار الناس الايمان طوعا.

هذه الآيات توضح ايضا رأي الاسلام في الجهاد، وهو ان هدف الاسلام من الجهاد، ليس مثلما قاله بعض المغرضين من ان هدف الاسلام هو شهر السلاح بوجه كل كافر ليصبح مسلما.

الصلح والتفاهم

هناك جملة أخرى من الآيات. تصرح بأن الاسلام يهتم بالصلح كما في قوله تعالى: «**والصلح خير**» (النساء — ١٢٨). والصلح كماقلنا لايعني الذلة والخضوع والاستسلام. «**يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة**» (البقرة — ٢٠٨).

واكثر الآيات صراحة، قوله تعالى: **وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله** (الانفال — ٦١)

إذن فان هذه الآيات تؤكد ان روح الاسلام هي روح السلام.

و يقول الباري في آية أخرى: **فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** (النساء— ٩٠).

و يقول القرآن حول المنافقين: **فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق أوجاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم اويقاتلوا قومهم.**

(النساء :٨٩ —٩٠)

لقد ذكرنا هنا اربع مجموعات من الآيات، كانت تقول إحداها بصورة مطلقة، حاربوا. لوكنا نحن ولم تكن هذه الآيات والآيات الأخرى لكان من المحتمل ان نقول بان الاسلام هو دين الحرب. والمجموعة الثانية من الآيات كانت تقيد الحرب مع الآخرين بقيود، مثلا اذا كان هؤلاء في حالة حرب معكم، أو انهم يظلمون جوعا من المسلمين وغير المسلمين و يدوسون حرية وحقوق تلك الجموع. والمجموعة الثالثة من الآيات كانت تقول بصراحة ان الدعوة للاسلام ليست اجبارية. اما المجموعة الرابعة فكانت تبين بصراحة رغبة الاسلام في السلام.

ماهية الجهاد هي الدفاع

من المسائل المطروحة هنا هي، ماهي ماهية الجهاد من وجهة نظر الاسلام؟ ماهي حقيقة وماهية الجهاد؟ وهنا لايختلف المفسرون في أن ماهية الجهاد، هي الدفاع، أي ليس هناك من يشك في ان الجهاد وكل نوع من القتال أو الحرب بعنوان الاعتداء، أي بعنوان سلب مال وثروات الطرف المقابل أو سائر القوى الموجودة في الطرف المقابل، وبعبارة أخرى ليست الحرب أمراً مقبولاً من وجهة نظر الاسلام اذا كانت تهدف الى السيطرة على القوى الاقتصادية والانسانية لقوم ما. ومثل هذه الحروب هي ظالمة من وجهة نظر الاسلام. الجهاد يكون مشروعا في حالة واحدة. عندما يكون بعنوان الدفاع فقط والنضال ضدنوع من الاعتداء. وبالطبع يوجد هناك شق ثالث، هو لايكون الجهاد من أجل توفير الطاقات والسيطرة عليها ولا من أجل الدفاع عن النفس أوعن قيمة انسانية بل لبسط قيمة انسانية. وهذا ماسنبحثه فيمابعد.

وعلى هذا الاساس لايوجد أي اختلاف في هذه الكبرى العامة، وهي ان الجهاد والقتال يجب ان يكونا بعنوان الدفاع، و ان وجد اختلاف فهو اختلاف صغروي، أي الاختلاف في ان يكون الدفاع عن ماذا؟

انواع الدفاع

ان نظر البعض محدودهنا. يقولون إن الدفاع هو عن النفس، و ان الحرب تكون مشروعة عندما يريد الانسان (سواء كان فردا أوقوما أو شعبا) ان يدافع عن نفسه وعن حياته. إذن فلو تعرضت حياة قوم أو شعب لخطر من جهة ثانية فان الدفاع عن الحياة هو أمر مشروع. وكذلك اذا حصل الاعتداء على ثروته وممتلكاته فله الحق (من ناحية الحقوق الانسانية) ان يدافع عن نفسه. وعلى هذا الاساس يحق للشخص ان يدافع عن ثروته اذا

ماتعرضت لاعتداء شخص آخر، أو أن يدافع شعب عن ثروته ولو بالقتال عندما يعتزم قوم آخرون مصادرتها اوسلبها بشكل من الاشكال.

الاسلام يقول: «**المقتول دون اهله وعياله شهيد**». أي ان الذي يقتل من أجل الدفاع عن ماله وشرفه فانه يصبح شهيدا من وجهة نظر الاسلام. إذن فان الدفاع عن الشرف يشبه ايضا الدفاع عن الحياة والمال، بل أفضل لانه دفاع عن الشرف. ان الدفاع عن الاستقلال **هوأمرمشروع لكل شعب** وعلى هذا الاساس، اذا اراد قوم ان يسلبوا استقلال قوم آخرين و يتسلطواعليهم واراد **هؤلاءالقوم ان يدافعوا** عن استقلالهم **وحملوا السلاح** فانهم يقومون بعمل جيد يستحقون المدح من أجله. إذن فان الدفاع عن الحياة. الدفاع عن المال والثروة والارض، الدفاع عن الاستقلال، الدفاع عن الشرف،هو دفاع مشروع. ولايتردد أي كان في جواز ومشروعية هذه المجالات. ولذلكقلنا بان نظرية بعض المسيحيين الذين يقولون ان الدين يجب ان يكون مواليا للسلام وليس للحرب، وان الحرب مذمومة على الاطلاق والسلام محمود، ليست نظرية صحيحة. إن الحرب عندما تأتي بعنوان الدفاع ليست غيرمذمومة فحسب بل ومستحسنة جداً وتعتبر جزءاً من مستلزمات حياة الانسان التي يعبرالقرآن الكريم عنها قائلاً: **لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض** (البقرة— ٢٥). أو يقول في مكان آخر: **لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكرفيها اسم الله** (الحج— ٣٩). وهذا مايقبله الجميع تقريبا.

الحقوق الانسانية

وهنا يوجد موضوع آخر وهو: هل ان مايكون الدفاع عنه مشروعا، ينحصر في كونه حق فرد أو حقوق شعب تسلب، أوانه يشمل جميع الأمور التي تتطلب الدفاع عنها. هناك بعض الحقوق التي هي ليست جزءاًمن حقوق الفرد أو حقوق الشعب بل جزء من الحقوق الانسانية. إذن اذا تعرض أحد الحقوق الانسانية الى اعتداء، فهل ستكون الحرب الدفاعية حينئذٍ مشروعة ام لا؟

من الممكن ان يقول شخص، ماذا يعني الدفاع عن الحقوق الانسانية؟ يجب عليّ ان ادافع فقط عن حقوقي الشخصية والى الحدالأقصى عن حقوقي القومية، فما شأني وشأن الحقوق الانسانية؟ هذا الكلام غيرصحيح. **الدفاع عن الحقوق الانسانية مقدّم**

على الدفاع عن الحقوق الفردية والاجتماعية هناك اشياء هي أفضل من حقوق شخص أومن حقوق شعب، وهي اكثر قدسية، والدفاع عنها أفضل من الدفاع عن الحقوق الشخصية عندالضمير البشري. وتلك الاشياء، هي المقدسات الانسانية وبعبارة أخرى، ان ملاك قدسية الدفاع هوليس ان يدافع الشخص عن نفسه، بل ان الملاك هو وجوب دفاعه عن «الحق». عندما يكون الملاك «حقا» لافرق بين الحقوق الشخصية والحقوق العامة والانسانية، بل ان الدفاع عن الحقوق الانسانية هو اكثر قدسية. واليوم وان لم يذكروا اسمه الا أنهم يعترفون به عمليا.

مثلاًانهم يعتبرون الحرية في عداد المقدسات البشرية. الحرية لا تتعلق بشخص واحد او بشعب واحد. والآن، اذا تعرضت الحرية الى اعتداء في مكان ما، لكن ليست حريتي وليست حرية شعبي، بل ان الحرية التي هي جزء من الحقوق العامة لجميع الناس قد تعرضت للاعتداء في مكان ما من العالم، فهل ان الدفاع عن هذا الحق الانساني بعنوان الدفاع عن «حق الانسانية» سيكون مشروعاً أم لا؟ اذا كان مشروعا فانه لا ينحصر بذلك الفرد الذي تعرضت حريته للاعتداء، حيث ان اشخاصا آخرين وشعوباً أخرى تستطيع ايضا بل يتوجب عليها ان تسارع لنجدة الحرية وان تقاتل الذي يريد سلب الحرية وخنق الحريات. وهنا ماذا تقولون؟ لااعتقدان شخصا يشك في ان أقدس اقسام الجهاد، وأقدس اقسام الحروب هو الحرب التي تأتي بعنوان الدفاع عن الحقوق الانسانية.

في الوقت الذي كان فيه الجزائريون يقاتلون الاستعمار الفرنسي كانت مجموعة من الاوربيين تشارك في هذه الحرب سواء بصفة جنود أو غير جنود. هل تعتقدون ان حرب الجزائريين هي وحدها كانت المشروعة، لان حقوقهم قد تعرضت للاعتداء؟ على هذا الاساس فان الشخص الذي جاء من أقصى اوربا ليناضل لصالح هذا الشعب هو ظالم ومعتد فقد يقال له ماأنت وهذه الحرب، ان أحداً لم يعتد على حقوقك، فلماذا تشارك في هذه الحرب؟ وقد يقول اني ادافع عن الحقوق الانسانية. بالطبع فان الأمر الثاني هوالصحيح لان جهاد مثل هذا الشخص هو أقدس من جهاد ذلك الجزائري، لان الجزائري يدافع عن نفسه، كما ان عمل ذلك الاوروبي اكثر اخلاقية وأقدس من عمل الجزائري.

ان المنادين بالحرية إما ان يكونوا راغبين في الحرية حقيقة أو أنهم يتظاهرون بذلك وقد كسبوا احتراما لانفسهم بين الناس. ان احترامهم هذا جاء نتيجة دفاعهم عن الحقوق الانسانية لاعن حقوقهم الشخصية أو حقوق شعبهم أو قارتهم. واذا تخطوا أحيانا حدود اللسان والقلم والخطب وتوعية الافكار ودخلوا ساحة الحرب، مثلا ان يقفوا الى جانب الفلسطينيين أو الفيتكونغ، فان العالم يقدسهم كثيراً، لايهاجمهم ولايقول لهم لماذا هذا الفضول، وماهي علاقتكم بهذه الاشياء؟ في حين ليس لأحـد شأن بكم!

أقدس انواع الدفاع

من الواضح، ان الحرب متى كانت بعنوان الدفاع، فهي مقدسة. فاذا كانت دفاعا عن النفس فهي مقدسة، واذا كانت دفاعا عن الشعب فهي أقدس لان الطابع الشخصي يتغير الى طابع قومي و يتوسع، حيث ان الانسان لايدافع عندها عن نفسه فحسب وانما يدافع عن الآخرين من ابناء شعبه. واذا تعدى الدفاع الحدود القومية الى الحدود الانسانية فانه سيكون اكثر قدسية.

النزاع صغروي وليس كبرويا

هذا هو معنى الجملة التي قلتها لكم، من ان النزاع في باب الجهاد ليس باصطلاح طلاب العلم نزاعا كبرويا، بل انه نزاع صغروي. وبعبارة أخرى، يعني ان النزاع لايكمن في هل ان الجهاد بعنوان الدفاع هو مشروع أو انه مشروع ايضا حتى اذا لم يكن دفاعا وفي هذه الكبرى الكلية لايشك أحد في ان الجهاد المشروع هو فقط في حال الدفاع، الا ان البحث حول مصداق الدفاع، هو بحث في صغرو ية هذا الموضوع وهو، هل ان مصداق الدفاع هو الدفاع فقط عن شخص الانسان نفسه والى الحد الأقصى عن شعبه؟ أو ان الدفاع عن الانسانية هو دفاع ايضا؟

الأمر بالمعروف هو مصداق الدفاع عن الحقوق الانسانية

يقول البعض-ويحق لهم ان يقولوا- ان الدفاع عن الانسانية، هو دفاع بحد ذاته. لذلك فان انتفاضة الاشخاص من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي مقدسة. يمكن ان لايتعرض أحد الاشخاص للاعتداء عليه شخصياً وله مكانة محترمة ومعتبرة وجميع الوسائل متوفرة لديه وحقوق شعبه المادية مصونة، لكنه معتدىً عليه من ناحية

الاهداف الانسانية، أي عندما تنقسم الحسنات والسيئات الى مجموعتين، بحيث تسود المجتمع مجموعة الحسنات وتزول عنه مجموعة السيئات. وفي مثل هذه الظروف لو رأى شخص أن المعروف (صار منكراً والمنكر معروفا)، انتفض من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن أي شيء يدافع؟ هل يدافع عن حقه الشخصي؟ كلا... هل يدافع عن حق المجتمع (اي الحق المادي لشعبه)؟ كلا ايضا. انه يدافع عن حق معنوي لايتعلق بأي قوم أوشعب، بل يتعلق بكل الناس. فهل يجب علينا أن نستنكر هذا الجهاد، أم نعتبره مقدسا؟ بالطبع يجب تقديسه لانه دفاع عن حقوق الناس.

الدفاع عن الحرية اليوم دفاع مقدس أيضاً.

بالنسبة للحرية نجد ان الذين يقاومونها و يعارضونها يظهرون بمظهر المدافع عنها وذلك لتبرير عملهم، لانهم يعلمون أن الدفاع عن الحرية هو مفهوم مقدس لان الحرب ان كانت حقا من أجل الدفاع عن الحرية، فهي مقدسة. ولهذا فانهم يأتون و يطلقون على اعتدائهم، اسم الدفاع عن الحرية. هذا تأكيد لهذا الموضوع وهو ان الحقوق الانسانية تقبل الدفاع. ان الحرب من أجل الحقوق الانسانية، مشروعة ومفيدة.

هل ان التوحيد حق شخصي، أم حق عام

الأمر الذي يجب الاهتمام به هنا هو هل ان التوحيد (لاالٰه الاالله) ضمن الحقوق الانسانية أم لا؟ يمكن ان يقول احد الاشخاص بان التوحيد ليس من ضمن الحقوق الانسانية، بل من ضمن المسائل الشخصية للافراد والى الحد الأقصىٰ ضمن المسائل القومية للشعوب، أي يمكن أن أكون أنا موحدا، ولي الحق في أن أكون مشركا اوموحداً فان أصبحت موحدا فليس لأحد الحق في معارضتي لانه حقي الشخصي، و اذا أصبح آخر مشركا فهو من حقه الشخصي ايضاً.

ان اية امة لها في قوانينها الرسمية واحدة من ثلاث حالات: فاما ان تختار التوحيد مبدءاً لها ولا تقبل في صفوفها غيرالموحدين ، واما أن تختار مذهب الشرك ، او تطلق الحرية للمواطنين ليعتنق كل منهم مايشاء من المذاهب. فان كان التوحيد جزءاً من القوانين القومية لشعب مافانه سيكون جزءاً من حقوق ذلك الشعب، واذا لم يكن، فلا. هذه احدى وجهات النظر، اما وجهة النظر الأخرى هنا، فهي ان التوحيد يعتبر —مثل الحرية — جزءاً من الحقوق الانسانية.

عندما تحدثنا عن حرية العقيدة، قلنا انه ليس معنى الحرية ان لايتعرض شخص لاعتداء من قبل شخص آخر، بل من المحتمل ان تتعرض حريته الى التهديد من جانبه هو.

إذن فلو قام بعض الناس بمحاربة الشرك من أجل التوحيد فان حربهم ستكون ذات طابع دفاعي وليست حرباً استعمارية استغلاليه عدوانية.

والآن هل عرفتم بصورة جيدة معنى النزاع الذي نقول عنه انه صغروي؟ هنا توجد— حتى بين علماء الاسلام— نظريتان:

فبعضهم يرىٰ ان التوحيد، من الحقوق العامة للناس. وعلى هذا الاساس فان الحروب من أجل التوحيد هي مشروعة. والبعض الآخر يرى ان التوحيد ليس جزءاً من الحقوق الفردية أو الحقوق القومية للشعوب ولايرتبط بالحقوق الانسانية. وعلى هذا الاساس لايحق لأي شخص التعرض للآخرين بسبب التوحيد. فأيُّ النظريتين صحيح؟

ألأمور التي لايجبر عليها

بعض المسائل تتطلب الاجبار، وهناك مسائل أخرى هي، في حد ذاتها لا تتطلب الاجبار، حيث يجب ان تكون طوعية بطبيعتها.

لنفرض مثلا ان مرضا خطيرا قدظهر وتريدالسلطات المعنية انتلقح الناس. هنا يمكن اجبار الناس على التلقيح. واذا كان هناك من لايرضىٰ على تلقيحه فيجبر حتى وان قاوم أوغاب عن الوعي. لكن بعض الاعمال لا تتطلب الاجبار ولايمكن ممارستها الا عن طريق الاختيار والرضا والقناعة وعلى سبيل المثال، تزكية النفس. والتربية على الفضائل فلو اردنا تربية بعض الناس بحيث يقبلون الفضائل باعتبارها فضائل و يتجنبون السيئات باعتبارهاسيئات ونقصاً في الانسانية، أي يكرهون الكذب و يولون الاحترام والأهمية للصدق، فان هذا العمل لايتم بالقوة والاكراه.

التربية لا تفرض

يمكن منع الشخص من السرقة بواسطة جلده، لكن لايمكن بالجلد، جعل روح شخص ما أميناً. واذا كان شخص بحاجة الى تهذيب النفس والى ان تصبح شخصيته الأخلاقية رفيعة فهل يمكن تحقيق ذلكبضربه مئة جلدة لتصبح تربيته رفيعة، أي هل ان

الجلد بالسوط يغني عن كل وسائل التربية ليمنع الشخص من الكذب و يكرّهه الى نفسه طيلة عمره؟ كلا والف كلا.

وكذلك الحال بالنسبة للمحبة. هل يمكن إجبار شخص ماعن طريق جَلدِه على ان يحب شخصا آخر؟ كلالايمكن فرض الحنان والمحبة بالعنف. لأن هذه الأمور لاتحتاج الى العنف. فلو جمعوا كل قوى العالم وارادوا بالعنف ان يدخلوا المحبة في قلب شخص أو أن يخرجوا بالعنف محبة من قلب شخص، لتبين لهم ان هذا العمل غير ممكن.

الايمان لايتطلب العنف

والآن وقد وضح الأمر فإنّ مسألة الايمان— بغض النظر عن كونها من الحقوق الانسانية أم لا—هي بحد ذاتها لا تتطلب العنف. لنفرض اننا نريد ان نفرض الايمان بالقوة والعنف فان ذلك ليس ممكنا لان الايمان يعني الاعتقاد والميل، و يعني ايضا الانجذاب نحو عقيدة وقبولها. ان الانجذاب الى اية عقيدة له ركنان. الاول، الناحية العلمية للموضوع بحيث ان فكر وعقل الانسان يقبلانه. والركن الثاني هو الناحية العاطفية بحث يكون قلب الانسان ميالاله. وهذان الركنان لايمكن تحقيقهما بالعنف خصوصا في الامور الفكرية والعقلية، ذلك ان الفكر يتبع المنطق، فمثلا لوارادوا أن يعلموا طفلا مسألة رياضية فيجب ان يعلموه اياها عن طريق المنطق ليؤمن بذلك حيث لايمكن تعليمه بالسوط، أي لوضربوه فان فكره لايقبل المسألة. وكذلك الحال بالنسبة للناحية العاطفية والودية.

يمكن منح الحرية بالاكراه أما الايمان والاصالة وروح المطالبة بالحرية فلا.

وعلى هذا الاساس يوجد هذا التباين بين التوحيد— حتى وان كنا نعتبر التوحيد من حقوق الانسان— وغير التوحيد. فمثلا الحرية موجودة. ويمكن منحها للناس بالاكراه ذلك انه يمكن بالقوة صد المعتدي وبهذه الطريقة يمكن تحرير شعب باكمله، لكن لايمكن ان تعرض عليه الاصالة و روح المطالبة بالحرية. لانستطيع بالقوة ان نجبر شخصا على الايمان بشيء، ولايمكننا — حتى بالقوة— ادخال الايمان الى قلبه. وهذا ماعناه القرآن الكريم بقوله. **لااكراه في الدين قدتبين الرشد من الغي.** اي انه لاتجبروا الناس على

الدخول في الدين حتى لوكانت لكم القدرة على ذلك طوعا، بل اتركوهم ليدخلوه طوعا، لان الدين لايمكن فرضه بالقوة وان مايفرض بالقوة والاكراه ليس دينا.

ان القرآن يستنكر على تلك المجموعة من الأعراب ادعاءها الايمان وهي التي دخلت توّاً الى الاسلام ولم تدرك بُعدَ وماهية الاسلام او يتغلغل الى اعماقها حيث يقول: **«قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا، ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم»** (الحجرات— ١٤). ذلك ان الايمان يرتبط بالقلب.

والدليل الآخر الذي يثبت صحة إدعائنا هو ان الاسلام لايسمح بالتقليد في اصول الدين و يعتبر التحقيق أمراً ضرورياً. ان اصول الدين ترتبط بالعقيدة والايمان. إذن يتضح لنا ان نظر الاسلام هو ان الايمان الحقيقي الناتج عن التفكير الحر لا الناتج عن التقليد او المفروض بالقوة.

الآن وقد اتضح لنا هذا الموضوع فاننا نجدهنا ان وجهتي نظر المحققين الاسلاميين تقتربان من بعضهما، حيث ان مجموعة كانت تعتقد بان التوحيد هو ضمن الحقوق الانسانية ويمكن الدفاع عن الحقوق الانسانية. وعلى هذا الأساس يمكن الدفاع عن التوحيد ويمكن دخول الحرب مع قوم من أجل التوحيد. اما المجموعة الأخرى فتقول، لايمكننا ان نتحارب من أجل التوحيد فقط، فلو كان شعب مشركا فاننا لانستطيع محاربته.

الحرب لازالة العوائق عن طريق الايمان والتوحيد.

ان وجهتي النظر قد اقتربتا من بعضهما من خلال ما وضحته توّاً. حتى ولوكنا نعتبر التوحيد من الحقوق الانسانية، فلانستطيع ان نشن الحرب على شعب آخر لفرض عقيدة التوحيد عليه لأن التوحيد هو في حد ذاته لايقبل الفرض،ولو اعتبرنا التوحيد جزءاً من الحقوق الانسانية فمن الممكن لنا اذا ماتطلبت المصلحة الانسانية ومصلحة التوحيد ان نشن الحرب على قوم مشركين، لامن أجل فرض التوحيد والايمان عليهم، لان التوحيد والايمان لايمكن فرضهما.

نعم، يمكن ان نشن حرباً على المشركين من اجل اقتلاع جذور الفسادمن أساسها. إلاّ ان اقتلاع جذور الشرك بالقوة يعتبر مسألة، وفرض عقيدة التوحيد مسألة أخرى.

ان الذين يعتبرون التوحيد جزءاً من الحقوق الشخصية (والى الحد الأقصىٰ جزءاً من الحقوق القومية) يقولون ان هذا العمل غيرجائز، و يتفقون بقولهم هذا مع طراز تفكير الاور و بين الذي انتشربيننا.

فالاور بيون ينظرون الى هذه المسائل بمثابة جملة من المسائل الشخصية والمسائل غيرالجدية في الحياة مثل الرسوم تقر يبا ، بحيث ان كل شعب له الحق في انتخاب الرسوم التي يرغب فيها. اذن لايحق لنا حتى ولو بعنوان قطع جذور الفساد ان نحارب المشركين ذلكان الشرك ليس فساداً، وان التوحيد مسألة شخصية.

لكن اذا اعتبرنا التوحيد مسألة عامة وجزءاً من الحقوق الانسانية ومن شروط سعادة عامة البشر، عندها يجوز أن نبدأ المشركين بالحرب بعنوان الدفاع عن التوحيد وحريمه و بعنوان قطع جذور الفساد. و يبدو ان الحرب لاتجوز بعنوان فرض عقيدة التوحيد.

الحرب من أجل حر ية الدعوة وازالة العوائق عن طر يق التبشير

والآن ندخل موضوعا آخر و هو، هل يجوز القتال من أجل حر ية الدعوة أم لايجوز؟ ماذا يعني القتال من أجل حر ية الدعوة؟ أي اننانقول، يجب علينا ان نكون احرارا لكي نبشر بعقيدة وفكر خاصين بين كل شعب، أي ان نبيِّن عقيدتنا. ويجوز لنا ان نقوم بهذا العمل سواء بعنوان اننا نعتبر الحر ية حقاعاما أوان نعتبرالتوحيدحقا انسانيا عاما ،أو بعنوان اننا نعتبر الا ثنين حقاانسانيا عاما. واذا ظهرت العراقيل أمام دعوتنا، ونرى ان قوة جاءت لتمنع الدعوة وتقول انني لاأسمح لكم، لانكم تر يدون تخر يب أفكار هؤلاء الناس (تعلمون ان اغلب الحكومات تعتبر الفكرالسيِّئ هوالفكرالذي اذا ظهر فان الناس سوف لايطيعون هذه الحكومات) فهل يجوز محار بة الحكومات التي تمنع نشر الدعوة بين الشعوب الى ان تسقط و يزول المانع من أمام نشر الدعوة أم لايجوز؟

نعم، هذه الحرب تجوز ايضا، ذلكانها تملكطابعاًدفاعيا وتعتبر من ضمن الجهاد الذي ماهيته هي الدفاع.

مقياس الحقوق الشخصية والحقوق العامة

انناشرحنا الى هنا، ماهية الجهاد. وليس هناك سوى مسألة واحدة، الاوهي، هل ان التوحيد يعتبر من وجهة نظرنا جزءاً من الحقوق العامة للانسان أو جزءاً من

الحقوق الشخصية والى الحد الأقصى جزءا من الحقوق القومية؟ يجب ان نعرف ماهو مقياس الحقوق الانسانية العامة ومقياس الحقوق الفردية والشخصية. ان الناس مشتركون مع بعض في جملة من المسائل، وان جميع الناس الذين يعيشون على الكرة الأرضية يتشابهون في اكثر الاشياء و يختلفون عن بعضهم في اشياء كثيرة. ان الاختلافات هي بدرجة كبيرة حيث لايوجد شخصان يتشابهان في جميع النواحي، مثلما لايتشابه شخصان مئة بالمئة من حيث الجسم والشكل.

إنكم لاتستطيعون ان تجدوا شخصين يتشابهان تماما من حيث الخصائص الروحية. ان المصالح المتعلقة بالنواحي المشتركة للناس هي حقوق عامة. الحرية، هي ان لايوجد هناك مايمنع من ظهور الاستعدادات الكلية لافراد البشر، هذا يتعلق بجميع الناس. والحرية مهمة لي بقدر ماهي مهمة لكم. ومهمة لكم بقدر ماهي مهمة للآخرين. الاانننا نتباين مع بعضنا في اكثر الأشياء، ونسمي تلك الاشياء (ذوقا) لانها تباينات شخصية. ومثلما يتباين لوننا وشكلنا، فان ذوقنا يتباين بدوره ايضا. انني من ناحية الوان الملابس ارغب في لون معين وانكم ترغبون في لون آخر. انني ارغب في نوع من خياطة الملابس وانتم ترغبون في نوع آخر. انني افضل مدينة للعيش فيها، وانتم تفضلون أخرى. انني افضل مكانا وانتم تفضلون مكانا آخر. انني أضع نوعا من الزينة في غرفتي، وانتم تضعون نوعا آخر. انني انتخب فرعا لدراستي، وانتم تنتخبون فرعا آخر. هذه مسائل شخصية، ولا يجوز لأي شخص ان يزاحم غيره في المسائل الشخصية. ولذلك لايحق لأي شخص ان يجبر شخصاً آخر في انتخاب الزوج لانه جزء من المسائل الشخصية، حيث ان لكل شخص ذوقاً خاصا يتعلق به من ناحية انتخاب الزوج. و يقول الاسلام لايمكن اجبار أي شخص في انتخاب زوجه لأنه جزء من المسائل الشخصية. ان الاور بيين عندما يقولون يجب عدم مزاحمة الشخص من ناحية التوحيد والايمان، فانهم يتصورون ان التوحيد والايمان هما جزء من الشؤون الشخصية، والسليقة والذوق من الشؤون الفردية. يجب على الانسان ان يكون منشغلا في حياته بشيء اسمه الايمان، مثل شؤون الفن، حيث يوجد هناك من يحب (حافظاً[1]) و آخر يحب (سعدياً[2]). واحد يحب

١ــ شمس الدين محمد الحافظ الشيرازى صاحب الديوان المعروف، توفي سنة ٧٩١هـ.

٢ــ الشيخ مصلح الدين سعدى بن عبدالشيرازى الشاعر الفارسى، توفي سنة ٦٩٠هـ

(مولوي[١]) و آخر يحب (فردسي[٢]) و آخر يحب (الخيام[٣]). إذن يجب عدم مزاحمة شخص يحب سعدي، أوان نقول له نحن نحب حافظ فيجب عليك ايضا ان تحبه. يقولون ان الدين هو هكذا، فمثلا ان شخصا يحب الاسلام و آخر يحب الدين المسيحي وثالثاً يحب الدين الزرتشتي ورابعاً لايحب أيّاً من الأديان الثلاثة. وعلى هذا الاساس يجب عدم مزاحمة أي شخص. إن هذه الاشياء لا ترتبط من وجهة نظر الاوروبيين بأصل الحياة ولا بطراز سلوك الانسان. ان طرز تفكير وطرز تصور هؤلاء للدين يتباينان مع طرز تفكيرنا وطرز تصورنا. إن الدين الذي يكون مثل أديان هؤلاء فيجب ان يكون هكذا. الا ان الدين من وجهة نظرنا نعني الصراط المستقيم والطريق الصحيح للبشرية. اللامبالاة في مسألة الدين تعني اللامبالاة في الطريق الصحيح للبشرية. فحن نقول بان التوحيد يرتبط بالسعادة البشرية ولايرتبط بالسليقة الشخصية أو مع هؤلاء القوم أو أولئك إذن فان الحق هو مع الاشخاص الذين يعتبرون التوحيد جزءاً من الحقوق الانسانية. وعندما نقول انه لايجوز القتال من أجل فرض التوحيد، فهذا لايعني ان التوحيد ليس من الأمور التي يجب الدفاع عنها وليس جزءاً من الحقوق الانسانية، بل لانه في حد ذاته لايقبل الفرض بالضبط مثلما يقول القرآن: **لااكراه في الدين.** والا فانه في الحقيقة جزء من الحقوق الانسانية.

حرية الفكر أم حرية العقيدة

والمسألة الأخرى تدور حول حرية العقيدة، حيث ان هناك تباينا بين «حرية الفكر» و «حرية العقيدة». الفكر منطق، ويملك الانسان قوة باسم قوة التفكير، بحيث يستطيع الحساب والانتخاب في المسائل على اساس التفكير والمنطق والاستدلال. غير ان العقيدة هي بمثابة الارتباط والتعقيد. ان العقائد التي تفتقر الى الأساس الفكري، يكون اساسها، التقليد، التبعية، العادة وحتى مزاحمة لحرية البشر. ان مانبحثه من ناحية الحرية ليكون البشر احرارا هو التفكير، الا ان الاعتقادات التي ليس لها أي جذر

١ ــ جلال الدين محمدبن بهاء الدين البلخي صاحب الديوان المعروف به «مثنوى» توفي سنة ٦٧٢هـ.

٢ ــ ابوالقاسم الحسن بن محمّد الطوسي الشاعر الحماسي الفارسي، توفي سنة ٤١١هـ.

٣ ــ ابوالفتح عمربن ابراهيم النيسابوري صاحب الرّباعيات المشهورة به «رباعيات الخيام»، توفي سنة ٥١٧ هـ.

فكري، هي فقط عقدة و جمود روحيين، تم توارثهما جيلا عن جيل. انها العبودية بعينها. وان الحرب من أجل القضاء على هذه العقائد هي حرب في طريق تحرير البشر وليست حربا ضد حرية البشر. ان الشخص الذي يطلب مرادا من صنم صنعه بيديه هو حسب تعبير القرآن أقل من الحيوان، أي ان عمل هذا الشخص ليس له أي اساس فكري. ولو ان ذرة من فكره تحركت فانه لايقوم بهذا العمل. إن جموداً وعقدة ظهرا في قلبه وروحه وان جذورهما تعود للتقليد الأعمى. يجب تحرير هذا الشخص بالقوة من القيود الداخلية ليستطيع ان يفكر. وعلى هذا الأساس فان الذين يسمحون بحرية التقليد وحرية القيود الروحية بمثابة حرية العقيدة فانهم على خطأ. وان مانواليه نحن بحكم آية **«لااكراه في الدين»** هو حرية الفكر وليس حرية العقيدة. وسنبحث في هذا الموضوع بصورة أوسع.

الجهاد
من وجهة نظر القرآن والعقل والتاريخ

كان بحثنا يدور حول الجهاد الاسلامي. وهناك ثلاثة مواضيع يجب شرحها هنا حيث للموضوع الاول ناحية تفسيرية أو بالأحرى قرآنية والموضوع الثاني هو من البحوث العقلية بينما الموضوع الثالث له ناحية قرآنية وناحية تاريخية.

أما البحث الذي له ناحية قرآنية فهو يتعلق بآيات الجهاد، وقلنا مسبقا ان بعض آيات الجهاد مطلق بنظر علماء الاصول والبعض الآخر محدود. والمقصود من الآيات المطلقة، هي الآيات التي أصدرت (بدون أية قيود وشروط) أوامر الجهاد ضد المشركين وأهل الكتاب. أما الآيات المحدودة فهي الآيات التي تدعو الى الجهاد في ظروف خاصة، مثلا اذا قاتلوكم أوانهم في حالة حرب معكم أوكانت لديكم أدلة تثبت تصميم هؤلاء على محاربتكم، فحاربوهم. والآن ما العمل؟ هل يجب ان نأخذ بنظر الاعتبار الآيات المطلقة، أم الآيات المحدودة؟ قلت مسبقاً ليس هناك تناقض بين المطلق والمحدود من وجهة نظر علماء معرفة فن المحاورات الذي تتم دراسة قسم منه في علم الاصول، لكي نقول، هل يجب ان نأخذ بنظر الاعتبار هذه الآيات أوتلك، بل اذا كنا نحن وكان هناك مطلق ومحدود، فيجب ان نستند الى ذلك المحدود لتوضيح ذلك المطلق. إذن فعلى هذا الاساس يتوجب علينا طبقا لهذه المقولة ان نعتبر مفهوم الجهاد، هو ذلك المفهوم الذي وضحته الآيات المحدودة، أي ان آيات القرآن لا تعتبر الجهاد واجبا بدون القيود والشروط، بل تعتبره واجبا في ظروف خاصة. وقد تحدثنا فيما سبق عن هذا الموضوع.

هل أن آيات الجهاد ناسخة ومنسوخة

ان بعض المفسرين جاءوا وطرحوا هنا مسألة الناسخ والمنسوخ، أي انهم قالوا، ان القرآن مثلما تقولون يعلن في اكثر الآيات، بان محاربة الكفار تأتي وفق الشروط، غير

ان آيات أخرى نسخت مرة واحدة جميع تلك الآيات. وعلى هذا الأساس فان الحديث هنا، هو حول الناسخ والمنسوخ. ان الآيات الاولى للبراءة التي تعطي أوامر الجهاد بصورة عامة وتريد التبرئة من المشركين وتحدد مهلة للمشركين. وتقول بعد انقضاء تلك المهلة ان هؤلاء ليس لهم حق البقاء فاقتلوهم، وحاصروهم وتربصوا لهم. هذه الآيات التي جاءت في السنة التاسعة للهجرة قد نسخت جميع الأوامر السابقة. هل هذا الكلام صحيح؟

هذا كلام غير صحيح، بأي دليل؟ بدليلين، الاول هو اننا نستطيع في مكان اعتبار آية ماناسخة لآية أخرى، بحيث تكون بالضبط ضدها. فلنفرض على سبيل المثال ان آية تقول لا تقاتلوا المشركين، ثم تأتي آية أخرى لتقول قاتلوا المشركين. هذا يعني اننا الغينا الأوامر السابقة ووضعنا بدلها أوامر أخرى. ان معنى الناسخ والمنسوخ هوالغاء الأوامر الاولى واستبدالها بأوامر أخرى. إذن يجب ان تكون الأوامر الثانية بصورة بحيث تكون مئة بالمئة عكس الأوامر الاولى ليتم اعتبار الأوامر الثانية حصيلة الغاء الأوامر الأولى. اما اذا كانت الأوامر الاولى والثانية تقبل الجمع مع بعضها، أي ان تكون كل واحدة منها موضحة للأخرى، فليس هناك إذن أي ناسخ و منسوخ لنقول ان واحدة جاءت لإلغاء الأخرى.

ان آيات سورة البراءة ليست بصورة بحيث نقول انها حصيلة الغاء الآيات السابقة وانها جعلت الجهاد مشروطا. لماذا؟ لوقرأنا جميع آيات سورة البراءة لرأينا انها تقول في المجموع، حاربوا المشركين الذين لايلتزمون بأي مبدأ إنساني ولا يوفون العهد الذي هو أمر فطري و وجداني وحتى اذا كان هناك قوم يفتقرون الى قانون فانهم يدركون بحكم فطرتهم ضرورة الوفاء للعهد. لو عقدتم معاهدة فانهم سينقضونها اذا ماسنحت لهم الفرصة و يقضون عليكم متى ماسنحت لهم الفرصة للقضاء عليكم. وهنا ماذا يقول العقل؟ يقول اذا حصلتم على أدلة حول قوم تثبت انهم مصممون على القضاء عليكم في اول فرصة تتاح لهم، فهل يقول اصبروا لكي يقضوا عليكم ثم اقضوا عليهم!! لو اننا نصبرفانه سيقضى علينا. واليوم يجوز في العالم ان يقوم طرف بمهاجمة طرف آخر اذا ماحصل على أدلة قطعية تؤكد تصميم الطرف المقابل على مهاجمته. و يقولون انه قام بعمل صحيح، ولايقولون: صحيح انك كنت تعرف وان اخبارا قطعية وصلتك وكان مفادها مثلا ان العدو سيهاجمك

في اليوم الفلاني، لكن لم يكن لك الحق ان تهاجمه اليوم، وكان يتوجب عليك ان تصبر وان تقف مكتوف اليدين ليهجم عليك العدو اولاً، ثم تهجم أنت!

يقول القرآن في آيات سورة البراءة التي هي من أشد آيات القرآن في موضوع الجهاد: **كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلاّ ولاذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم** (سورة التوبة — آية ٨).

يقول القرآن في هذه الآية ان الفرصة لو سنحت لهؤلاء فانهم لايفون بأية معاهدة أوعهد، لان مايقولونه، يقولونه باللسان وان قلوبهم تقول العكس. وعلى هذا الأساس فان هذه الآيات ليست مطلقة بتلك الدرجة التي تتصورها، بل انها تقول في الحقيقة، ان الصبر والتأخير عند احساسكم بخطر من جانب العدو، هما عملان غير صحيحين. إذن فهذه الآيات ليست ضد تلك الآيات لكي نعتبرها ناسخة. هذا الدليل وهذا الموضوع يثبتان ان هذه الآيات ليست منسوخة.

أصل «مامن عام الاوقد خصّ»

ان الدليل الثاني هو موضوع قاله علماء الاصول، بحيث اذا كان باستطاعتي توضيحه لكم فانني استطيع ان أقول وجهة نظري حول هذه الآية.

يقولون: **مامن عام الاوقد خصّ**، أي ان لكل قاعدة استثناءا. هذا الكلام صحيح، فمثلا يقولون لنا صوموا و يقولون لا تصوموا اذا كنتم على سفرأو اذا أصبتم بمرض. وكذلك الحال بالنسبة للصلاة وغير الصلاة. يقولون مامن عام الا وقد خصَّ. أي ان بعض القواعد لا تقبل الاستثناء.

المقصود هو ان بعض الأمور تأبى الاستثناء، حيث ان لحن هذه القواعد، هو لحن لايقبل الاستثناء، مثلا جاء في القرآن: **وان تشكروا يرضه لكم** (سورة الزمر — آية ٧). هذا الأمر الكلي لايقبل الاستثناء، أي لايمكن ان يكون انسان شاكرا في الحقيقة ولايقبله الله. كلاهذا ليس شيئا يكون شيئا آخر في حالة خاصة، الا اذا لم يكن شاكرا.

و الآن فان الحالة هي كذلك في باب الناسخ والمنسوخ، حيث ان بعض الالحان لا تقبل النسخ اساسا لان النسخ يعني بان المنسوخ هوأمر وقتي، أي ان اللحن هو لحن لايقبل التوقيت. فلو كان هذا موجودا فيجب أن يكون دائما. كيف؟ ساضرب لكم مثالا.

مثلا اذا جاء في القرآن: **لا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** (البقرة– آية ٩١). هنا يوجد عموم من ناحية الافراد واستمرار من ناحية الزمان. هل يمكن لنا ان نجعل استثناءً لهذا العام ونقول ان الله لا يحب الظالم، الا بعض الظالمين؟! أي ان القدسية الربانية وقذارة الظلم غير قابلتين للالتحام، بحيث نقول ان الله لا يحب المعتدين الا السيد فلان والسيد الفلاني. هذا العموم لا يقبل الـ (إلاّ). كما انه ليس مثل الصيام. بحيث يقولون يا سيد فلان صم، الا اذا لم تتمكن في بعض الظروف. غير ان الظلم ليس شيئا، بحيث نقول اظلم في بعض الظروف ولا تظلم في ظروف أخرى، لان الظلم ليس مقبولا في اي زمان ومن أيٍّ كان وحتى من النبي. والظلم، مثل المعصية، لان الله لا يحب أي عاصٍ. فلا يمكن القول، الا النبي. لا، لا يمكن لانبيائه ان يظلموا. لو ان الانبياء عصوا فان الله لا يحبهم ايضا. ان الفرق بين النبي وغير النبي، هو ان النبي لا يعصي بينما غير النبي يعصي. وهذا لا يعني ان الله سوف يحبه حتى اذا ما عصى. إن ما نطلق عليه اسم العموم لا يقبل التخصيص والاستثناء. وكذلك الحال من ناحية الزمان. هل يمكن القول ان هذا قانون يخص زماناً معيناً، بحيث ان الله لا يحب المعتدين في زمان معين ولكنه يلغي هذا الحكم بعد عشرة أعوام ويقول، اننا من الآن سنحب المعتدين؟ هذا اللحن ليس لحنا يقبل النسخ.

نشاهد في آيات الجهاد ان القرآن يدخل ضمن هذا الحق: **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** (البقرة– ١٩٠). ان محاربة المعتدي ليست اعتداءا، الا ان محاربة الذي لم يعتدِ تعتبر اعتداءا ولا تجوز. حاربوا المعتدي لكي لا يحصل اعتداء، لكن اذا حاربتم غير المعتدي فانتم المعتدون. وهذا ليس بأمر يقبل النسخ. يمكن مثلا ان لا يسمح بالجهاد والدفاع في وقت معين وان يقول اصبروا وتحملوا مدة من أجل المصلحة، ثم أمر بالجهاد، أي ان يلغي أمره بالصبر لأنه كان لفترة مؤقتة. وعندما يلغي هذا الأمر فهذا يعني انه كان يعتبره مؤقتا منذ البداية.

الدفاع عن القيم الانسانية

وعلى هذا الأساس فان القرآن يعتبر الجهاد ليس الانوعا من الدفاع الذي لا يسمح به الاّ في حالة وقوع الاعتداء. لكننا قلنا سابقا انه لا يمكن إدانة الجهاد الهادف الى المحافظة على القيم الانسانية حتى وان لم تكن معرضة للخطر. وقلنا ايضا ان مسألة الاعتداء هي مفهوم عام، أي ليس من الواجب الاعتداء على حياة الانسان وعلى المال

والناموس والاستقلال والحرية. فلواعتدى قوم على قيم وكانت تلك القيم انسانية فان ذلك يعني الاعتداء.

استعمال القوة في طريق المسائل الصحية

أريدان أضرب لكم مثالا بسيطا: تبذل في عصرنا الراهن مساع جمة للقضاء على جذور بعض الأمراض. ولم يتم لحد الآن التوصل الى الاسباب الاساسية للبعض منها، مثل السرطان، كما لم يتم كشف طرق معالجتها. الا ان هناك مجموعة من الأدوية التي يستعملها الناس بصورة مؤقتة من أجل تأخير هذه الأمراض. لنفرض ان مؤسسة كشفت علاج أحدالأمراض، فان المؤسسات التي تستفيد من وجود هذا المرض، والمعامل التي تنتج الأدوية التي تفيد في علاج هذا المرض فقط، تصاب في حالة عدم وجود هذا المرض بخسائر تقدّر بملايين أو بمليارات الدولارات. ولكي لايتضرر سوقها فانها تقضي على هذا الكشف العزيز لدى الانسان وعلى التركيبات المكتشفة لكي لايعلم أي شخص بهذا الاكتشاف، فهل يجب الدفاع عن مثل هذه القيمة الانسانية، أم لا؟ هل نستطيع ان نقول، ان احدا لم يعتد على حياتنا، ولايهدد ناموسنا واستقلالنا وارضنا، فاذا يعنينا اذا قام أحد الاشخاص في نقطة من العالم باكتشاف شيء وارادشخص آخر ان يقضي على ذلك؟ لا، ليس هنا مكان لهذا القول، لان قيمة انسانية تتعرض للخطر هنا وتم الاعتداء على احدى القيم الانسانية. وعلى هذا الأساس فهل نحن نعتبر انفسنا معتدين اذا عارضنا هذه المسألة وقاتلنا من أجلها؟ كلا، بل اننا انتفضنا ضد الاعتداء وحاربنا المعتدي.

إذن فعندما نقول ان موضوع الجهاد هو امرٌ دفاعي، فان غرضنا ليس الدفاع بمعنى محدود، بحيث نقول، ايها السيد دافع عن نفسك اذا ماهاجمك شخص بالسيف وبالمدفع والبندقية. كلا، بل دافع متى ماتم الاعتداء عليك أوعلى إحدى قيم حياتك أوعلى القيم المعنوية لحياتك، وخلاصة القول اذاتم الاعتداء على شيء عزيز ومحترم للبشرية ويعتبر من شروط سعادة البشرية وجب الدفاع عنه.

ان بحثنا السابق يطرح نفسه مرة أخرى هنا وهوهل ان مسألة التوحيد جزء من المسائل الشخصية وجزء من سليقة الاشخاص، أم انها جزء من القيم الانسانية؟ فلو كانت من القيم الانسانية فيجب الدفاع عنها. إذن فلو جاء في قانون ماهذا القول، وهو يجب الدفاع عن التوحيد

بعنوانه قيمة انسانية فهذا لايعني ان الاعتداء يجوز، بل معناه هو ان التوحيد قيمة معنوية وان دائرة الدفاع وسيعة بدرجة بحيث تشمل هذه القيم المعنوية.

نعم، فاننا نكرر في الوقت نفسه الموضوع الذي سبق وان قلناه، وهو ان الاسلام لايقول قاتلوا من أجل فرض التوحيد، لان التوحيد لايقبل الفرض بالاكراه لانه ايمان، ويجب تمييز الإيمان وانتخابه، حيث لايمكن التميز بالقوة ولا الانتخاب بالقوة. **لااكراه في الدين.** أي لاتجبروا أي شخص، أي ان الايمان لايقبل الفرض غير ان لااكراه في الدين لايعني ان لا تدافعوا ايضا عن التوحيد أوعدم دفع الخطر الذي يواجه «**لاإله إلاّ الله**» من قبل بعض الناس.

حرية «العقيدة» أم حرية «التفكير»

الا ان مسألة عدم فرض الدين على الناس بالقوة، وان يكون الناس احرارا في انتخاب الدين هي مسألة، كما ان مسألة ان «العقيدة» حرة، هي مسألة أخرى. وبعبارة أخرى ان حرية التفكير والانتخاب هي مسألة، بينما حرية العقيدة، مسألة أخرى. ان اكثر العقائد والمعتقدات لها اساس فكري، أي ان اكثر العقائد قدتم تشخيصها وانتخابها من قبل الانسان. ان التعلق القلبي الذي يظهر في الانسان، ينتج في اكثر الأحيان عن التشخيص والانتخاب. لكن هل ان جميع عقائد البشر تستند الى الفكر والتشخيص والانتخاب؟ أم ان اكثر عقائد البشر هي جملة من التعلقات الروحية التي ليس لها اساس فكري، بل لها اساس عاطفي، مثلما يقول القرآن في مجال توارث التقاليد جيلا عن جيل: **إنا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون** (سورة الزخرف— آية ٢٣). والقرآن يؤكد كثيرا على هذاالموضوع. وكذلك هي العقائد التي تنتج عن تقليد الأكابر. ان حرية العقيدة ليس لها معنى اساسا في هذه الأمكنة، ذلك ان الحرية تعني إزالة مايمنع من فعالية قوة فعالة وتقدمية، بينما العقيدة نوع من الركود. ان الحرية في الركود تساوي حرية سجين في البقاء في السجن وحرية شخص مقيد في قيوده. والتباين هو ان السجين جسميايشعر بحالته، بينما السجين روحيا لايحس بحالته. ولهذا السبب نقول ان حرية العقيدة الناشئة من تقليد وتبعية المحيط وليست من التفكير الحر، ليس لها معنى.

الجزية

المسألة الأخرى التي يجب طرحها في نهاية حديثنا، هي مسألة «الجزية». لقد

جاء في نص الآية الكريمة، قاتلوا اهل الكتاب (خاصة الذين ليس ايمانهم حقيقيا و واقعيا) حتى يعطوا الجزية. ماهي الجزية؟ هل ان الجزية تعني دفع الفدية واخذ الفدية؟ ان الفدية بأي شكل كانت، تمثل العنف والظلم، و ان القرآن يرفض بدوره كل اشكال وصور الظلم. الجزية مشتقة من الجزاء. والجزاء يستعمل في اللغة العربية بمعنى الهدية تارة وبمعنى العقاب أخرى. ولو كانت الجزية عقوبة، فيمكن لشخص ان يدعي بان مفهومها هو الفدية، واذا كان مفهومها الهدية وهو كذلك فان الموضوع يتغير.

قلنا مسبقا ان البعض ادّعى بان الجزية هي كلمة معرَّبة اساسا وليست عربية وانها فارسية وهي معرب كلمة «گزية». والگزية، كلمة فارسية وكانت تعني الضرائب السنوية التي وضعها «انوشيروان» لاول مرة في ايران. وعندما انتقلت هذه الكلمة الى العرب فان حرف «الگاف» تبدل كالعادة الى حرف «الجيم» وقال العرب، الجزية بدلاً من الگزية. إذن مفهوم الجزية هو الضريبة. ومن البديهي فان تسديد الضرائب لايعني أخذ الفدية، فالمسلمون يجب عليهم ان يدفعوا انواع الضرائب. الا ان هناك تباينا بين الضرائب التي يدفعها أهل الكتاب والضرائب التي يدفعها المسلمون. وهذا القول لايستند الى اي دليل، ثم اننا لسنا بصدد اصل الكلمة وجذورها، بل يجب علينا ان نعرف ماهية الجزية على اساس الأحكام التي وضعها الاسلام لها.

هل ان الجزية تكريم أم عقاب؟

بعبارة أخرى يجب ان نرى ان الاسلام الذي يأخذ الجزية، هل يأخذها بشكل هدية أم بشكل فدية. فلو يتعهد مقابل الجزية ان يقدم لهم خدمة فان الجزية تعني عند ذاك. التكريم. اما اذا أخذ الجزية دون أن يقدم لهم خدمة، ففي هذه الصورة تعني الجزية: الفدية، فلو قال الاسلام: خذوا الجزية من أهل الكتاب ولا تتعهدوا مطلقا أمام الجزية بل خذوا فقط المال منهم مقابل التوقف عن قتالهم، فهذا يعني الفدية. الفدية تعني أخذ الحق بالعنف، أي ان يقول احد الأقوياء لأحد الضعفاء اعطني مبلغا من المال لكي لا ازاحمك وأقف في طريقك واسلب أمنك. وفي وقت آخر يقول اتعهد امامكم وآخذ الجزية مقابل هذا التعهد. وفي تلك الصورة يكون معنى الجزية التكريم، سواء كانت كلمة الجزية عربية أو فارسية، لان المهم هوان نأخذ بنظر الاعتبار مادة القانون.

عندما ندخل ماهية القانون فاننا سنعلم بان الجزية تترتب على أهل الكتاب الذين يعيشون في ظل الحكومة الاسلامية و يكونون من اتباعها. للحكومة الاسلامية وظائف تقع على عاتق شعبها ولها تعهدات امامه. والوظائف هي :اولا :ان يدفع الشعب، الضرائب لادارة ميزانية الحكومة الاسلامية سواء كانت تلك الضرائب تؤخذ بعنوان الزكاة أو بعناوين أخرى مثلا الخراج أو المقاسمة أو الضرائب التي تضعها الحكومة الاسلامية استنادا الى المصالح الاسلامية و يترتب على الناس دفعها. واذا لم يدفعوها فان أمور الحكومة الاسلامية تصاب بالشلل. ليست هناك حكومة لا تملك ميزانية ولا تأخذ بعض أو جميع ميزانيتها من الناس. ان الحكومة بحاجة الى الميزانية، والميزانية يجب ان تأتي من هذه الضرائب المباشرة وغير المباشرة. ثانيا :يجب على الناس ان يكون لهم تعهدات أمام الحكومة من ناحية الخدمة العسكرية والتضحية، لان على افراد الشعب ان يدافعوا عن الدولة اذاما تعرضت للخطر. فإذا كان أهل الكتاب يعيشون في ظل الحكومة الاسلامية، فلا يترتب عليهم دفع الضرائب الاسلامية أو المشاركة في الجهاد بالرغم من ان منفعة الجهاد تعود عليهم. وعلى هذا الأساس فان الحكومة الاسلامية عندما تقوم بضمان أمن الناس وتمنحهم حمايتها فانها تطلب شيئا من الناس مقابل ذلك سواء كان مالا او غير مال و تطلب الجزية من أهل الكتاب بدلا من الزكاة وغير الزكاة وحتى انها تطلب الجزية منهم بدلا من الخدمة العسكرية. ولهذا فان الوضع كان على هذه الشاكلة في صدر الاسلام. وعندما كان اهل الكتاب يتطوعون لخوض الحرب لصالح المسلمين، فان المسلمين كانوا يرفعون الجزية عنهم، و يقولون اننا نأخذ الجزية منكم لانكم لا تعطون الجنود، اما الآن وقد اعطيتمونا الجنود فليس لنا الحق في ان نأخذ الجزية منكم. لقد ورد في تفسير المنار شواهد تاريخية كثيرة واكثر من الكتب الأخرى تقول بان المسلمين في صدر الاسلام كانوا يأخذون الجزية بدلا من الجنود، وكانوا يقولون لاهل الكتاب، بما انكم تعيشون في ظل حكومتنا و نقوم نحن بحمايتكم ولا تعطونا الجنود (كان المسلمون لايقبلون الجنود منهم) فيجب ان تدفعوا الجزية بدلاً من الجنود. ولو كان المسلمون يعتمدون احيانا على البعض منهم و يأخذونهم كجنود فانهم كانوا لايأخذون الجزية منهم.

وعلى هذا الأساس فان كلمة الجزية سواء كانت عربية من الناحية اللغوية ومشتقة من الجزاء أو كانت معربة كلمة «الگزية» فانها تعتبر في الحقيقة من ناحية

7998

المفهوم القانوني تكريما الى الحكومة الاسلامية من قبل أهل الكتاب مقابل الخدمات التي تقوم بها لهم ومقابل عدم أخذ الجنود والضرائب منهم.

وهنا اتضح بان جواب الايراد الاول وهو قولهم، كيف يمكن ان يتخلى الاسلام عن الجهاد من أجل الجزية؟ هو، ماذا يريد الاسلام بالجهاد؟ انه لايريد الجهاد لفرض العقيدة، بل من أجل إزالة العوائق. عندما يقول الطرف المقابل انني لااقاتلكم فهذا يعني انه لايضع العراقيل في طريق العقيدة. وعندها يترتب على الطرف الثاني ان يعمل على ضوء هذه الآية: **فان جنحوا للسلم فاجنح لها** (سورة الانفال—٦١). اذا خضعوا وطرحوا مسألة السلام والصلح فلا تتعنت انت ولا تقل، كلا انني لااتصالح بل اريد الحرب. عندما يريدون التعايش السلمي معكم فيجب عليكم ان تبدوا استعدادكم لهذا الأمر. لكن اذا كانوا يريدون ان يعيشوا معكم وفي ظلكم ولايدفعون الضرائب الاسلامية ولايرسلون الجنود لكونهم غيرمسلمين وانتم لا تثقون بخدمتهم العسكرية فيجب ان تأخذوا منهم ضرائب سنوية باسم الجزية. والجدير بالذكر ان المؤرخين الاوروبيين والمسيحيين ومن جملتهم غوستافلوبون وجرجي زيدان قد بحثوا في هذا الموضوع كثيرا. ان ويل دورانت يبحث في الجلد الحادي عشر من كتابه «تاريخ التمدن» في مسألة الجزية الاسلامية ويقول ان الجزية الاسلامية كانت قليلة بدرجة انها كانت أقل من الضرائب التي كانت تؤخذ من المسلمين. وعلى هذا الأساس لم يكن هناك أي ظلم في مسألة الجزية.

منظمة الاعلام الاسلامي

قسم العلاقات الدولية
طهران - ص.ب. ٢٧٨٢
الجمهورية الاسلامية الايرانية

السعر : ٦٠ ريال

VETVS & NOVVM
TESTA-MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
MAY-JUNE 1992
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 100258555